فراديس الجنان

في شرح عقيدة ولد عدلان

تأليف

الشيخ محمد علي بن الشيخ البشير

عبدالله الاحيمر

الطبعة الأولى

١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م.

الدار السودانية

فراديس الجنان

في شرح عقيدة ولد عدلان

تأليف

الشيخ محمد على بن الشيخ البشير
عبدالله الاحيمر

دار الفكر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة هذا الكتاب

اعلم وفقنا الله وإياك أن موضوع هذا الكتاب التوحيد الذي دعى الله اليه في كتابه على لسان رسله قال: « ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » . وقال تعالى : « وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم » . وقال تعالى : « فاعلم أنه لا إله إلا الله ».

فالتوحيد هو القاعدة الأولى في الإسلام وهو المقصود بعبارة لا إله إلا الله ، وقد سمى المتكلمون هذا العلم بأسماء مختلفة ومرجعها واحد : (علم العقائد) . (وأصول الدين) . (والتوحيد) . (وعلم الكلام) .

ولكل تسمية سبب خاص سمي علم العقائد لأن أبحاثه تدور حولها : وعلم أصول الدين لأنه يتناول الأسس الأصلية في الإيمان . وعلم الكلام قضاياه إنما تثبت بالأدلة العقلية تصاغ حججاً وكلاماً . أو لأن صفة الكلام كانت من أشهر مباحثه . وعلم التوحيد لأن أهم قضية يعالجها توحيد الله تعالى ، فالتوحيد هو هو عقيدة المسلم يخرج بها من الظلمات إلى النور وتبعده من الفساد ، ويعتقد أن الضار والنافع هو الله تعالى .

قال تعالى لرسوله ﷺ : «قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى

الله فليتوكل المؤمنون » . وإنه لا رازق إلا الله ، قال تعالى : « قل من يرزقكم من السموات والأرض ؟ قل الله » . فالإيمان فكرة تنير العقل ، ويقين يملأ الصدر .

وينقسم علم التوحيد إلى ثلاثة أقسام :

إلهيات – ونبوات – وسمعيات .

فالإلهيات : ما يتعلق بالله تعالى. والنبوات هي ما تتناول الأنبياء والرسل. والسمعيات هي ما سمع عن الرسل من الأشياء الغيبية، كالبعث والصراط والجنة والنار ونحو ذلك . وأما الإلهيات التي تقدم ذكرها فهي كل ما يجب على المكلف معرفته ، وهو ما يجب في حقه تعالى وما يستحيل وما يجوز ، أي معرفة صفاته تعالى الكمالية والجمالية والجلالية التي نصب عليها الآيات، أي أقام عليها البراهين والأدلة وليست هذه الخاتمة موضع سرد الآيات ، فالقرآن كلـــه شواهد بينات ودلائل واضحات .

قال الإمام السنوسي في شرح الصغرى : صفات مولانا الواجبة لا تنحصر في هذه العشرين ، لأن كمالاته لا نهاية لها ، لكن ما لم ينصب عليــه دليل عقلي ولا نقلي لا نؤاخذ به بفضل الله . قال ابن أبي زيد في رسالته : لا يبلغ كنه صفته الواصفون ، ولا يحيط بأمره المتفكرون، يعتبر المتفكرون بآياته ولا يتفكرون في مائية ذاته . قال عليه الصلاة والسلام: «تفكروا في مخلوقاته ولا تتفكروا في ذاته». وفي رواية «فتهلكوا» . وخلاصة كلام علماء الكلام أن عقول الخلق قاصرة عن إدراك الحقيقة في ذاته وصفاته تعالى لانها فوق مستوى العقول ، وحكوا عن الشافعي : من انتهض لطلب مُـدبّره فانتهى الى موجود ينتهي إليه فكره فهو مشبّه ، وإن اطمأن الى العدم الصرف فهو معطّـل ، وإن اطمأن الى موجود واعترف بالعجز عن إدراكه فهو موحّد ، وهو معنى قول الصديق : العجز عن الإدراك إدراك ، وقد قيل حقيقة المرء ليس يدركها فكيف كيفيةُ الجبـــار في القدم .

وأما النبوات: فالمراد بهم الانبياء والرسل ؛ فكل رسول نبي ، وليس كل نبي رسول ، والفرق بينهما ظاهر ، والرسول إنسان ذكر بعثه الله سبحانه الى عبيده وإمائه(١) ليبلغهم عنه أحكامه التكييفية والوضعية وما يتبعها من وعد ووعيد ونحوهما ، وقد تقرر أنا مكلفون بمعرفة الرسل عليهم الصلاة والسلام ، ولا يتم إيماننا إلا بمعدتهم ، أي معرفة ما يجب في حقهم لهم وما يستحيل عليهم وما يجوز في حقهم واعتقاد ذلك ، وقد تقدم ذلك في هذا الكتاب وإن جميع الانبياء كلهم مع تباعد أزمانهم واختلاف لغاتهم ، وافتتان سننهم تجدهم متفقين على رأي واحد ومقعد واحد فيما يشيرون إليه من دعوتهم الامم الى الله .

والسمعيات : وهي كل ما جاء به الرسل من عند الله سبحانه وتعالى جملة وتفصيلاً ، كالحشر والنشر لعين هذا البدن لا لمثله ، وكالصراط والميزان، وكالجنة والنار وعذاب القبر وسؤاله ، وكنفوذ الوعيد في طائفة من أمته ، ثم يخرجون الى غير ذلك مما علم من الدين ضرورة وعلمه ﷺ مفصل في الكتاب والسنة وكتب علماء الأمة ، وقد بلغوا كل ما أمرهم الله بتبليغه لم يتركوا شيئاً لا نسياناً ولا عمداً كما هو منصوص ، والله المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل ، ولا حول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً .

---

(١) أي الذكور والاناث .

بسم الله الرحمن الرحيم

« وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم » (قرآن كريم) .

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن سيدنا محمداً عبده ورسوله إمام المرسلين . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد فيقول العبد الحقير الفقير محمد علي بن البشير بن عبد الله المشهور بالاحيمر ، إنه لما كان الكتاب المسمى بجامع زبد العقائد التوحيدية في معرفة الذات الموصوفة بالصفات العلية تأليف العالم العلامة المسمى ولد عدلان من الأقطار السودانية رحمه الله ، قد جمع زبد العقائد التوحيدية بعبارة سهلة التناول محتوياً على الدليل الإجمالي ؛ طالعه بعض علماء السودان ، وبعد مطالعتهم له أشاروا إلي أن أشرحه شرحاً يفسر ألفاظه ويبين معناه ، فأجبتهم إلى ذلك وإن كنت لست أهلاً لما هنالك ، طالباً من الله أن يلهمني الصواب ، وأن يكون خالصاً لوجهه الكريم التواب .

وعمدتي في ذلك النقل من كتب أهل السنة والجماعة ، ولم أتعرض لمذاهب القوم وسميته كتاب : (يواقيت فراديس الجنان العلية) في شرح كتاب (جامع زبد العقائد التوحيدية في معرفة الذات الموصوفة بالصفات العلية) .

وها أنا أشرع في المقصود مبتدئاً بالمبادىء العشرة فأقول وبالله التوفيق .

فحدُّ هذا الفن لغة : العلم بأن الشيء واحد ، وشرعاً بمعنى الفن المدوّن علم يقتدر به على إثبات العقائد الدينية مكتسبة من أدلتهـــا اليقينية ، وبغير الفن المدون : إفراد المعبود بالعبادة مـــع اعتقاد وحدته والتصديق بها ذاتاً وصفاتاً وأفعـــالاً .

وموضوعه : ذات الله تعالى من حيث ما يجب له وما يستحيل وما يجوز ، وذات الرسل كذلك ، والممكن من حيث أنه يتوصل بـــه الى وجود صانعه ، والسمعيات من حيث اعتقادها .

وثمرته : معرفة الله بالبراهين القطعية والفوز بالسعادة الأبدية .

وفضله: أنه أشرف العلوم لكونه متعلقاً بذات الله وذات رسله وما يتبع ذلك.

وواضعه : أبو الحسن الأشعري ومن تبعـــه ، وأبو منصور الماتريدي ومن تبعه ، بمعنى أنهم دوّنوا كتبه وردوا الشبهة التي أوردتها المعتزلة، وإلا فالتوحيد جاء به كل نبي من لدن آدم إلى قيام الساعة .

وإسمه : علم التوحيد ، لأن بحث الوحدانية أشهر مبـاحثه ، ويسمى أيضاً علم الكلام ، لأن المتقدمين كانوا يقولون في مباحثه : الكلام في كذا ... أو لأنه قد كثر الكلام في مسألة الكلام .

واستمداده : من الأدلة العقلية والنقلية .

وحكم الشارع فيه : الوجوب العين على كل مكلف ذكر وأنثى .

ومسائله : قضاياه الباحثة عن الواجبات والجائزات والمستحيلات .

وهذه المبادىء هي التي تسمى مقدمة علم الكلام ، لأنهـا إسم لمعان يتوقف عليها الشروع في المقصود ، وهذه هي المبادىء العشرة المنظومة في قول بعضهم:

إن مبادىء كل فن عشرة   الحـد والموضوع ثم الثمرة

وفضله ونسبه والواضع والإسم والاستمداد حكم الشارع
مسائل والبعض بالبعض اكتفى ومن درى الجميع حاز الشرفا

قاله بعض علماء الكلام .

قال المصنف رحمه الله .

(بسم الله الرحمن الرحيم) افتتح كتابه بالبسملة عملاً بقوله ﷺ « كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أبتر » . وفي رواية الرهاوي فهو « فهو أقطع » وفي رواية « أجزم » ومعناه : ناقص وقليل البركة . وذي بال : شرف وعظمة ، أو حال يهتم به شرعاً . وخبر ابن عباس لم يبدأ فيه ببسم الله : ولقول عكرمة إنها أول ما كتب القلم في اللوح فجعلها الله أماناً للخلق ما داموا عليها . وقول من قال من المالكية ابتدأ بها اقتداء بكتاب الله العزيز لأنها عندنا ليست من الفاتحة إلا أن يريد الإبتداء بكتابتها . وسنتكلم على معناها بكلام مناسب للفن على سبيل التبرك والمعنى : أبتدأ كتابي متبركاً بأي إسم من أسمائه تعالى سواء كان دالاً على الذات فقط كلفظ الله أو عليها وعلى الصفات كلفظ الرحمن ، ففيه إشارة إلى عقيدة أن لله أسماء والراجح أنها توقيفية . والله : علمٌ على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد ، وهو إسم الله الأعظم عند الجمهور واختار النووي أنه الحي القيوم . والرحمن الرحيم صفتان مأخوذتان من الرحمة بمعنى الإحسان أو إرادة الإحسان ، لا بمعناها الأصلي الذي هو رقة في القلب تقتضي التفضل والإحسان لاستحالة ذلك في حقه تعالى . فالرحمن الرحيم في حقه بمعنى المحسن أو مريد الإحسان ، لكن الأول المحسن بجلائل النعم ، أي النعم الجليلة ، والثاني المحسن بدقائق النعم ، أي النعم الدقيقة ، لأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى غالباً ، وإنما جمع بينهما إشارة إلى أنه ينبغي أن يطلب منه النعم الحقيرة ، كما ينبغي أن يطلب منه النعم العظيمة ، لأن الكل منه وحده سبحانه وتعالى .

قال المصنف (الحمد لله) والحمد لغة الوصف بالجميل على جهة التعظيم والتبجيل وإن شئت قلت هو الوصف بجميل اختياري أو قديم على جهة التعظيم والتبجيل والمراد بالوصف ، الذكر باللسان دون غيره من سائر الأركان وإطلاق الحمد على ما ليس باللسان ، إنما هو باعتبار ترجمة اللسان عنه. وشمل قوله الجميل أي الحسن ما كان في مقابلة إنعام ، وما ليس في مقابلة إنعام كما شمل أيضاً على التعريف الأول وبجميل اختياري أو قديم لا على جهة التعظيم بل على جهة التهكم والسخرية فليست بحمد ، والوصف بجميل لا اختيار فيه يسمى مدحاً لا حمداً .

(فائدة) الحمد لله ثمانية أحرف ، وأبواب الجنة ثمانية : فمن قال الحمد لله فتحت له أبواب الجنة الثمانية .

(والصلاة) هي لغة الدعاء بخير ، فإذا أضيفت إليه تعالى كان معناها زيادة الإنعام المقرونة بالتعظيم والتبجيل. (والسلام) أي التحية اللائقة به ﷺ .المعنى: اللهم حيّ نبينا بتحية لائقة به . (على رسول الله) والرسول إنسان ذكر حر أوحي إليه بشرع أي أحكام وأمر بتبليغها ، أي إيصالها للمكلفين . والمراد برسول الله ، سيدنا محمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ابن خزيمة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . وهو متفق عليه ،ومابعد عدنان إلى آدم مختلف فيه ، إلا أنهم اتفقوا على أن نسبه الشريف ﷺ يرتفع إلى إسماعيل بن إبراهيم خليل الله تعالى ، انتهى .

(صلى الله عليه وسلم) قد مرّ معنى ذلك. قال الإمام جلال الدين السيوطي قال ابن عبد البر في الإستذكار: لا يجوز لأحد إذا ذكر النبي ﷺ أن يقول رحمه الله لأنه قال : من صلى عليّ ولم يقل من ترحم عليّ ومن دعا لي ، وإن كان معنى الصلاة الرحمة . ولكن خُصّ بهذا اللفظ تعظيماً له فلا يعدل إلى غيره ، ويؤيده قوله تعالى : « لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً » .

الباب الاول

في الأحكام الشرعية

نسبة إلى الشرع وهو الذي لا يعلم إلا منه ولا يتوصل إليه بعقل ولا عادة وأقسامه خمسة، وهذه الأقسام مأخوذة من الأصول. (اعلم أن الأحكام الشرعية خمسة) أي أن أركان الحكم الشرعي خمسة (واجب) يعني أن المأمور بفعله إن جزم بالأمر بأن طلب فعله طلباً جازماً بأن لا يجوز تركه فهو الواجب ، وذلك كالإيمان بالله ورسله و كقواعد الإسلام الخمسة (ومندوب) يعني أن المأمور بفعله إن لم يجزم بالأمر بـــه بأن طلب طلباً غير جازم بأن جوّز تركه فهو المندوب وذلك كصلاة ركعتي الفجر الراتبة ونحوها .

(ومحرّم) يعني أن المنهي عنــه إن كان عن تحتم بأن لم يجز فعله فهو الحرام وذلك كالزنا وشرب الخمر ونحوهما (ومكروه) يعني أن المنهى عنه الذي طلب تركه من غير تحتم بأن جوّز فعله فهو المكروه، وذلك كالقراءة في الركوع مثلا . (ومباح) يعني أن ما أذن الشرع في فعله وتركه على السواء فهو المباح ، وكون المباح أحد أقسام الحكم الشرعي هو الذي عند الأكثر ، وقيل ليس هو منها ، وإنما الأربعة دونه ، وسبب الخلاف الإختلاف في تفسير المباح ، فمن فسره بنفي الحرج لا يكون عنده من الشرع لأنه كان منفياً قبل الشرع ، ومن فسره بالإعلام بنفي الحرج فإنما يعلم من الشرع فهو عنده من الشرع . قاله ابن يحيى في شرح الرسالة . والواجب عندنا والفرض مترادفـــان إلا في باب الحج . وقال القرافي في الواجب : ما ذم تاركه شرعاً، والمحرّم ما ذمّ فاعله شرعاً، والمندوب ما رجح فعله على تركه من غير ذم ، وقيل ما في فعله ثواب وليس في تركه عقاب ، والمكروه ما رجح تركه على فعله شرعاً من غير ذم ، وقيل ما في تركه ثواب وليس في فعله عقاب ، والمباح ما استوى طرفاه . انتهى .

فصل في قواعد الإسلام

(وقواعد الإسلام خمسة) وهي (التوحيد) والمراد به هنا الشهادتان وما اشتملت عليه من العقائد، وشرعاً بمعنى الفن المدوّن علم يقتدر به على إثبات العقائد الدينية مكتسبة من أدلتها اليقينية ، والمراد به هنا الشرعي لا بمعنى الفن المدون ، وهو إفراد المعبود بالعبادة . ويراد بالتوحيد أيضاً الإقدار لله تعالى بالتأثير والضر والنفع والرزق والخلق والإيجاد إلى غير ذلك مما لا يمكن لغير الله أن يتصف به .

ودليل التوحيد قوله تعالى: « شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم » فيجب علينا أن نؤمن بأنه واحد في ذاته وصفاته وأفعاله لا شريك له في الألوهية وهي استحقاق العبادة لله ، منفرد بخلق الذوات بصفاتها وأفعالها ، وبقدم ذاته وصفاته الذاتية ، وبأن ذاته تعالى لها صفات ... حياة منزهة عن الروح ، وعلم بلا ارتسام لصورة في قلب ولا دماغ وإنما هي صفة تتميز بها الأشياء يتعلق بكل ما كان وهو كائن بعلم واحد ومحل صفاته لا تكثر فيها وإنما التكثر في المتعلقات وقدرة على الممكنات وإرادة لجميع الكائنات لم تتجدد له إرادة بتجدد المرادات ، وبأن الطاعات بإرادته ومحبته ورضاه وأمره والكل بقضائه وقدره ، وسمع بلا صماخ وبصر بلا حدقة وكلام بلا حرف ولا صوت ، منزه عما يعتري كلامنا النفسي من الخرس الباطن ، منزه عن قيام حادث به من حركة وسكون أو تحيز ، فصفاته ليست أعراضاً ولا عين ذاته ولا غيرها ، وأنه أحدث العالم باختياره ، ولم يتجدد بإيجاد إسم ولا صفة بل لم يزل بأسمائه وصفات ذاته ، لا

شبيه له في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ، منزه عن الجهة والجسمية وصفاتها ولوازمها ، وكل سمة نقص أو لا كمال فيها ، وأنه لا يكون في ملكه إلا ما يشاء من خير وشر ونفع وضر ، بل لا تقع لحة ناظر ولا لفتة خاطر إلا بإرادته تعالى وأنه الغني المطلق فكل موجود مفتقر إليه تعالى في وجوده وبقائه وسائر مـــا يمده به ، ويجمع ذلك كله أنـــه تعالى متصف بكل كمال ، منزه عن كل وصف لا كمال فيه .

(والصلاة) هي لغة الدعاء مطلقاً وقيل بخير ، وشرعـــاً أقوال وأفعال مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم بشرائط مخصوصة ، وهي صلة بين العبد وربه ، وافترضها الله تعالى ليلة الإسراء ، وذلك بمكة قبل الهجرة بسنة ، وكان الفرض قبل ذلك ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي . ووجوب الصلوات الخمس مما علم من الدين ضرورة ، ودليل وجوبها والزكاة قوله تعالى : « وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفـــاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة » فمن جحدها أو بعضها فهو كافر مرتد يستتاب فإن لم يتب قتل كفراً ، وكذا بقية الأركان الخمسة .

واختلف فيمن أقر بوجوبها ثم امتنع من فعلهـــا هل هو فاسق يقتل حداً ويورث إن تمادى على امتناعه ، أو كافر فيقتل ولا يورث ولا يصلى عليه ؟ !

والأول هو المشهور والثـــاني لابن حبيب أن من ترك الصلاة متعمداً أو مفرطاً كافر . ولكل من القولين دلائل ليس هذا محلها .

(والصيام) هو لغة الإمساك ولو عن نحو الكلام ، ومنه قوله تعالى حكاية عن مريم عليها السلام : « إني نذرت للرحمن صوماً » ، وشرعاً الإمساك عن المفطر جميع النهار . وفُرِض في شعبان في السنة الثانية من الهجرة . أما وجوب صيام شهر رمضان فلا خلاف فيه فمن جحده فهو كافر ، ومن أقر بوجوبه وامتنع عن صومه وأفطر فيؤدب إن ظهر عليه . وإن جاءنا تائباً مستفتياً فقولان مشهورهما

الأدب . ويختلف في كفر الممتنع عن صومه ، ويجبر عليه عند القائلين بنفي التكفير كما يجبر على الصلاة ، وابن حبيب يقول بتكفيره كتارك الصلاة إلا أن مذهبه في الصلاة أقوى من الصوم لأنه لا يوجد في الأدلة مثلما يوجد في الصلاة ، ودليل وجوبه من الكتاب قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » . ومن السنة قوله عليه الصلاة والسلام . « بني الإسلام على خمس ... الحديث » .

(والزكاة) هي إسم مصدر بمعنى التزكية ، وهي لغة التطهير والمدح والنماء وشرعاً إخراج جزء من المال على وجه مخصوص ، هذا إذا كانت بمعنى الفعل كما هنا ، وإن كانت بمعنى القدر المخرج قلت هي إسم لمال مخصوص يؤخذ من مال مخصوص على وجه مخصوص يصرف لطائفة مخصوصة . وفرضت في السنة الثانية من الهجرة بعد زكاة الفطر ، وقيل في غيرها وقيل في الرابعة وقيل قبل الهجرة وكونها إحدى قواعد الإسلام الخمسة معلوم من الدين ضرورة . وقد تقدم دليل وجوبها من الكتاب ، ومن السنة قوله ﷺ : « بني الإسلام على خمس .... الحديث » فمن جحد وجوبها فهو مرتد يستتاب ثلاثة أيام فإن لم يتب قتل كفراً لإنكاره ما علم من الدين ضرورة ، ومن أقر بوجوبها وامتنع من أدائها أخذت منه كرهاً وإن بقتال ، ويؤدب على امتناعه من إعطائها وتجزئه على المشهور .

(والحج) وهو لغة مطلق القصد وشرعاً قصد الكعبة للنسك والمشتمل على الوقوف بـ «عرفة» ، وقد اختلف في أي سنة فرض؟ فقيل فرض قبل الهجرة ، ونزول قوله تعالى : « ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا » بعدها إنما هو للتأكيد ، وقيل فرض بعد الهجرة إلى غير ذلك . والأصل في وجوبه قوله تعالى : « ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا » وقوله تعالى : « وأتموا الحج والعمرة لله » ، وقوله ﷺ : « بني الإسلام على خمس ... الحديث » وقوله عليه الصلاة والسلام في خطبته : « إن الله قد فرض عليكم الحج فحجوا »

والإجماع على وجوبه فمن جحد وجوبه فهو كافر ومن أقر بوجوبه وتركه فالله حسبه ، ولا يتعرض له لتوقفه على الإستطاعة وسقوطه بعدمها ، وذلك ممـــا قد يخفى .

« فأركان الإيمان ستة »

(**الايمان بالله**) أي التصديق والإعتقاد أن لا إله إلا الله ، وأن الله تعالى موصوف بالصفات التي قام الدليل عليها .

(**والايمان بالرسل**) قد مر معنى الرسول أي نعتقد أن الله أرسلهم إلى الخلق لهدايتهم وتكميل معاشهم ومعادهم وأيدهم بالمعجزات الدالة على صدقهم ، فبلغوا عنه رسالته ، وبينوا للمكلفين ما أُمروا ببيانه ، وأنه يجب إحترام جميعهم ولا نفرق بين أحد منهم كما في الإيمان بهم ، وإنه تعالى نزههم عن كل وصمة ونقص وهم معصومون من الصغائر والكبائر قبل النبوة وبعدهـا على المختار ، بل هو الصواب ، وسيأتي الكلام عليهم في آخر الكتاب .

(**والايمان بالملائكة**) جمع مَلَك على غير قياس أو جمع ملاك على وزن مَفْعَل إذ هو من الألوكة وهي الرسالة ثم خفف بنقل الحركة والحذف فصار مَلَكاً . وتاؤه لتأنيث الجمع ، وقيـــل للمبالغة ، غُلّب في الأجسام النورانية المبرأة من المكدرات الجسمانية القادرة على التشكل بالأشكال المختلفة ، أي نعتقد بأنهم عباد له ، لا كما زعم المشركون من تألههم ، مكرمون لا كما زعم اليهود من نقصهم ، لا يعصون الله مـــا أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، وبأنهم سفراء الله بينه وبين خلقه متصرفون كما أذن ، صادقون فيما أخبروا بـه عنه ، وأنهم بالغون من الكثرة ما لا يعلمه إلا الله تعالى « وما يعلم جنود ربك إلا هو » . « أطت السماء وحق لها أن تئط ما من موضع قدم إلا وفيه ملك ساجد أو راكع » .

(**والايمان بالكتب السماوية**) أي نؤمن بأنها كلام الله الأزلي القديم ، القائم بذاته المنزه عن الحرف والصوت ، وأنه تعالى أنزلها على بعض الرسل ، وبأن كل ما تضمنته حق وصدق ، وأن بعض أحكامها نسخ وأن بعضها لم ينسخ ، وأن الله بين فيها أمره ونهيه ووعده ووعيده وغير ذلك . وأفضل الكتب المنزلة القرآن الكريم ثم التوراة ثم الإنجيل ثم الزبور . ثم اعلم أن جميع الكتب المنزلة قد نسخت بالقرآن تلاوتها وبعض أحكامها ، والله تعالى أعلم .

(**والايمان باليوم الآخر**) هو يوم القيامة ، وأوله من وقت الحشر إلى ما لا يتناهى على الصحيح،وقيل إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار. والواجب الإيمان به ، وبما يشتمل عليه . وسمي باليوم الآخر لأنه متصل بآخر أيام الدنيا . وسمي بيوم القيامة لقيام الناس فيه من قبورهم ، وقيامهم بين يدي خالقهم ، وقيام الحجة عليهم ، وسيأتي زيادة على ذلك إن شاء الله .

(**والايمان بالقدر**) أي نؤمن بالقدر خيره وشره ، أي بأن ما قدره الله في أزله لا بد من وقوعه ، وما لم يقدره يستحيل وقوعه ، وبأنه تعالى قدّر الخير والشر قبل الخلق ، وأن جميع الكائنات بقضائه وقدره وإرادته ، لقوله تعالى : « خلق كل شيء » . « والله خلقكم وما تعلمون » . « إنا كلَّ شي خلقناه بقدر »،بنصب «كلَّ» كما أجمع عليه السبعة ، وحينئذ يكون نصاً في عموم الخلق إذ تقديره حينئذ إنا كل شيء مخلوق لنا بقدر : « وما تشاؤون إلا أن يشاء الله » . ولإجماع السلف والخلف على صحة قول القائل : ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن . ولخبر كل شيء بقدر حتى العجز والكيس .

والقضاء عند الأشعرية إرادته الأزلية المتعلقة بالأشياء على ما هي عليه فيما لا يزال . والقدر إيجاده إياها على قدر مخصوص وتقدير معين في أقوالها وأفعالها أو القضاء علمه أولاً بالأشياء على ما هي عليه ، والقدر إيجاده إياها على ما يطابق العلم . اهـ وستأتي زيادة على ذلك .

ودليل هذه الأركان قوله تعالى: « ليس البرّ أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين » . ودليل القدر قوله تعالى: « إنا كل شيء خلقناه بقدر » وقد مرّ ذلك .

والدليل على قواعد الإسلام الخمسة ، وأركان الإيمان الستة من السنة حديث جبريل المشهور عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: « بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد فجلس الى النبي ﷺ فأسند ركبتيه الى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يا محمد أخبرني عن الإسلام فقال : أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً ، قال : صدقت . فعجبنا له يسأله ويصدقه قال : أخبرني عن الإيمان ، قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره . قال : أخبرني عن الإحسان ، قال : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك . قال : فأخبرني عن الساعة ، قال : فما المسئول عنها بأعلم من السائل . قال : فأخبرني عن أماراتها قال : أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان . قال : فمضى فلبثت ملياً ثم فقال : يا عمر أتدري من السائل ؟ قلت الله ورسوله أعلم ، قال : فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم » . رواه مسلم انتهى .

(فصل في الواجب والمستحيل والجائز)

(فالإيمان بالله [١] على ثلاثة أقسام : واجب) أي عقلي وهو ما لا يقبل النفي أصلاً بحيث لا يدرك العقل عدمه . (ومستحيل) هو ما امتنع ثبوته في العقل بحيث لا يدرك العقل ثبوته ووجوده . (وجائز) هو ما قبل النفي والثبوت بحيث يدرك العقل وجوده وعدمه . ومن المعلوم أن معرفة الله تعالى بالصفات التي قام الدليل عليها واجبة ، ولذا شرع هنا في ذكر تلك الصفات وقسمها كغيره الى ثلاثة أقسام :

قسم واجب في حقه تعالى بمعنى أن وصفه تعالى به واجب عقلاً لا يتصور في العقل عدمه ، وقسم مستحيل عليه تعالى بمعنى أن وصفه تعالى به محال عقلاً لا يتصور في العقل وجوده ، وقسم جائز في حقه تعالى بمعنى أن وصفه تعالى به جائز عقلاً بحيث أن العقل يجوّز أن يوصف به تعالى وأن لا يوصف به تعالى .

فأشار الى القسم الأول وهو الواجب فقال :

(فالواجب عشرون صفة) المراد بالصفة ما ليس ذاتاً فيصدق بالنفسية والسلبية والمعاني والمعنوية (والمستحيل عشرون صفة) لأن كل صفة واجبة يستحيل ضدها . (والجائز واحد) وهو فعل كل ممكن أو تركه كما يأتي .
(فالجملة إحدى وأربعون عقيدة) أي معتقدة .

---

(١) أي بمعرفة الله .

(فصل في صفات الله تعالى الواجبة)

(فالواجبات العشرون) أي الواجبة له . اعلم أن صفاته تعالى الكمالية لا تتناهى إلا أنه لا يجب علينا تفصيل ما لم يقم عليه الدليل بالخصوص بل الواجب أن نعتقد أن كمالاتـه تعالى لا تتناهى على التفصيل . وأما ما قام عليه الدليل بخصوصه فيجب اعتقـاده ، خصوصاً وهي عشرون صفة على قول من أثبت المعنوية كالمصنف وغيره .

(وهي الوجود) وهو صفة نفسية دلّ الوصف بها على عين الذات دون معنى زائد عليها . قال في شرح الصغرى : وفي عـدّ الوجود صفة على مذهب الأشعري تسامح لأنه عنده عين الذات ليس بزائد عليها ، والذات ليست بصفة لكن لما كان الوجود توصف به الذات في اللفظ فيقال ذات مولانا موجودة ، صح أن يعد صفة على الجملة .

وأما على مذهب من جعل الوجود زائداً على الذات كالإمام الرازي فعدُّه من الصفات صحيح لا تسامح فيه . هذه هي الصفة الأولى وهي الوجود . (و) الثانية (القدم) وهو عبـارة عن سلب الحدوث السابق على الوجود وإن شئت قلت هو عبارة عن عدم الأولية للوجود . (و) الثالثة (البقاء) وهو عبارة عن سلب العدم اللاحق للوجود ، بمعنى أن ذات الله لم يلحقها عدم وإن شئت قلت هو عبارة عن عـدم الآخرية . (و) الرابعة (مخالفته تعالى للحوادث) أي لا يماثله تعالى شيء مطلقاً لا في الذات ولا في الصفات ولا في الأفعـال قال تعالى : « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » فأول هذه الآية تنزيه وآخرها إثبات ،

فصدرها يرد على المجسمة وأضرابهم وعجزهـــا يرد على المعطلة النافين للصفات جميعها . (و) الخامسة (القيام بالنفس) أي بالذات فلا يفتقر لشيء من الأشياء فلا يفتقر إلى محل أي ذات سوى ذاته يوجد فيها ، كما توجد الصفة في الموصوف لأن ذلك لا يكون إلا للصفات ، وهو تعالى ذات موصوف بالصفات وليس هو تعالى بصفة كما تدّعيه النصارى ولا يفتقر تعـالى إلى مخصص ، أي فاعل يخصصه بالوجود لا في ذاته ولا في صفة من صفاتـــه لوجوب القدم والبقاء لذاته تعالى ولجميع صفاته . (و) السادسة (الوحدانية) أي لا ثاني له في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ، فأوجه الوحدانية ثلاثة : وحدانية الذات ، ووحدانية الصفات ، ووحدانية الأفعال . فوحـدانية الذات تنفي التركيب في ذاته تعالى ، ووجود ذات أخرى تماثل الذات العلية ، فتنفي التعدد في حقيقتها متصلاً كان أو منفصلا فهي إذن تنفي الكم المتصل والمنفصل . ووحدانية الصفات تنفي التعدد في حقيقة كل واحدة منها متصلاً كان أو منفصلاً ، فعلم مولانا جل وعلا ليس له ثان لا متصلاً أي قائمـاً بالذات العلية ولا منفصلاً أي قائماً بذات أخرى ، فوحدانية الصفات تنفي الكم المتصل والمنفصل فيها ، بل هو تعالى يعلم المعلومات التي لانهاية لها بعلم واحد ، ولا عـدد له ولا ثاني له أصلاً وقس على هذا سائر صفات مولانا جل وعز . ووحدانية الأفعال تنفي أن يكون ثم اختراع لكل ما سوى مولانا جل وعز في فعل ما من الأفعال فهي تنفي الكم المنفصل في الأفعال ومولانا جل وعز هو المنفرد باختراع جميع الكائنات بلا واسطة ، قال تعالى : « وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم » . (و) السابعة (القدرة) وهي لغة القوة والاستطاعة وعرفاً صفة أزلية يتأتى بها إيجاد الممكن وإعدامه على وفق الإرادة أي يتيسر بها إخراج كل ممكن من العـــدم إلى الوجود ومن الوجود إلى العدم سواءاً كان الممكن جرماً أو عرضاً ، مكتسباً للحيوان أو غير مكتسب .

وقولهم على وفق الإرادة إشارة إلى أن فعله تعالى للكائنات إنما هو بطريق الاختيار لا بطريق اللزوم كفعل العلة والطبيعة عند الفلاسفة والطبائعين . (و)

الثامنة (الإرادة) وهي لغة مطلق القصد وعرفاً صفة أزلية قديمة زائدة على الذات قائمة به تخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه وهي الممكنات المتقابلات الستة المنظومة في قول بعضهم :

الممكنات المتقابلات	وجودنا والعدم الصفات
أزمنة أمكنة جهات	كذا المقادير روى الثقات

ومعنى كونها متقابلات أنها متنافيات ، فالوجود يقابل العدم وبالعكس مهما قسم أول وبعض الصفات يقابل بعضاً ككونه أبيض يقابل كونه أسود وهذا قسم ثان وبعض الأزمنة يقابل آخر فكونه في زمن الطوفان مثلاً يقابل كونه في زمن سيدنا محمد ﷺ وهذا قسم ثالث وبعض الأمكنة يقابل بعضاً فكونه في مكان كذا كمصر يقابل كونه في مكان كذا كبولاق وهذا قسم رابع. وبعض الجهات يقابل بعضاً فكونه من جهة المشرق يقابل كونه من جهة المغرب وهذا قسم خامس . وبعض المقادير يقابل بعضاً فكونه طويلاً مثلاً يقابل كونه قصيراً وهذا قسم سادس . قاله بعض علماء الكلام .

(و) التاسعة (العلم) وهو صفة أزلية ينكشف بها المعلوم على ما هو به انكشافاً لا يحتمل النقيض بوجه . قال في شرح المقدمات يعني المعلوم كل مايصح أن يعلم وهو كل واجب وكل مستحيل وكل جائز . ومعنى ينكشف أنه يتضح ذلك المعلوم لمن قامت به تلك الصفة ويتميز عن غيره اتضاحاً لا خفاء معه . (و) العاشرة (السمع) وهو صفة أزلية ينكشف به لله كل مسموع على ما هو به انكشافاً يباين سواه ضرورة. (و) الحادية عشرة (البصر) وهو صفة أزلية ينكشف به لله كل مبصور على ما هو به انكشافاً يباين سواه ضرورة . (و) الثانية عشرة (الكلام) وهو صفة أزلية قائمة بذاته تعالى ليست بحرف ولا صوت منزهة عن التقدم والتأخر والاعراب والبناء منزهة عن السكوت النفسي بأن لا يدبر في نفسه الكلام مع القدرة عليه ، ومنزهة عن الآفة الباطنية بأن لا

يقدر على ذلك كما في حال الخرس والطفولية . قال في المقدمات : والكلام الأزلي هو المعنى القائم بالذات المعبر عنه بالعبارات المختلفات المباين لجنس الحروف والأصوات المنزه عن البعض والكل والتقديم والتأخير والسكوت واللحن والاعراب وسائر أنواع التغييرات ، المتعلق بما يتعلق به العلم من المتعلقات قال في شرحها : « لا شك أن الكتاب والسنة والإجماع مصرحة بإثبات الكلام لمولانا تبارك وتعالى من أمر ونهي ووعد ووعيد وتبشير وتحذير . انتهى » .

ولما فرغ من بيان صفات المعاني شرع في بيان الصفات المعنوية وقد ذهب إمامنا إمام أهل السنة أبو الحسن الأشعري رضي الله عنه إلى أنها ليست بزائدة عن المعاني بل هي عبارة عن قيام المعاني بالذات ، لا أن لها ثبوتاً في الخارج عن الذهن بناء على نفي الحال ، وأنه لا واسطة بين الموجود والمعدوم . والثابت من الصفات التي تقوم بالذات إنما هو صفات المعاني ، أما المعنوية فعبارة عن قيام تلك بالذات . وأما على مذهب غيره من القول بثبوت الأحوال ، وهي صفات ثبوتية ، أي صفات ثابتة قائمة بذاته تعالى فلا بد من ذكرها ، ولذا ذكرها المصنف بقوله : « وكونه تعالى قادراً » أي بقدرة واحدة موجودة قديمة قائمة بذاته يوجد بها الممكن ويعدمه على وفق ما أراد فيعلم الشيء ، ويخصصه ويؤثر فيه (ومريداً) أي بإرادة واحدة موجوده قديمة قائمة بذاته تتعلق بالممكنات فيريد المعاصي وإن كان لا يأمر بها ولا يرضاها . (وعالماً) أي بعلم واحد موجود غير ذاته متعلق بجميع الأقسام تعلق انكشاف لا يعلم حقيقته ولا حقيقة تعلقه إلا الله . (وحياً) أي بحياة واحدة موجودة مغايرة لذاته لا تنفك عن ذاته لا يعلم حقيقتها إلا هو جل وعلا . (وسميعاً) أي بسمع واحد موجود قديم قائم بذاته ليس بجارحة ولا صماخ أي ثقب أذن نؤمن بذلك وننزهه عن صفات الحوادث ينكشف له بها الصوت والذات لا يوصف بقرب ولا بعد . (وبصيراً) ببصر واحد موجود قائم بذاته ليس بجارحة ولا بحدقة ينكشف له

تعالى به الأصوات والذوات . (ومتكلماً) بكلام واحد ليس بحرف ولاصوت ولا ترتيب من تقديم ولا تأخير كما ذكر ذلك علماء الكلام .

هذه العشرون الواجبات لله تعالى .

(فصل في الصفات المستحيلة عليه تعالى)

(وأما القسم الثاني فهو المستحيلات فهي عشرون صفة) (أضداد) جمع ضد ، المراد بالضد هنا الضد اللغوي وهو كل مناف سواء كان وجودياً أو عدمياً فكأنه يقول يستحيل في حقه تعالى كل مـا ينافي صفة من الصفات الأولى ، لأن الأولى لما تقرر وجوبها له تعالى عقلاً وشرعاً وقد عرفت أن حقيقة الواجب ما لا يتصور في العقل عدمه لزم أن لا يقبل عز وجل الاتصاف بما ينافي شيئاً منها . ثم شرع في ذكرها فقال : فهذه أضداد (العشرين الأولى) وهي الواجبات .

وهي : (العدم) وهو ضد الوجود (والحـــدوث) ضد القدم (وطرو العدم) ويسمى الفناء هو نقيض الصفة الثالثة وهي البقاء . واستحالة العدم عليه تعالى يستلزم استحالة الحدوث والفناء (والمماثلة للحوادث ضد مخالفته تعـــالى للحوادث . وأوجه المماثلة كثيرة وفي الصغرى بأن يكون جرماً، أي تأخذ ذاته العلية قدراً من الفراغ أو يكون عرضاً يقوم بالجرم أو يكون في جهة للجرم أوله هو جهة أو يتقيد بزمان أو مكان أو تتصف ذاته العلية بالحوادث أو يتصف بالصغر أو تتصف بالأغراض في الأفعال أو الأحكام .

(والافتقار إلى المحل والمخصص) أي وكذا يستحيل عليه تعالى أن لا يكون قائماً بنفسه بأن يكون صفة يقوم بمحل أو يحتاج إلى مخصص أي موجد .

(والتعدد في الذات والصفات والأفعال) وكذا يستحيل عليه تعالى أن لا

يكون واحداً بأن يكون مركباً في ذاته أو يكون له مماثل في ذاتـه أو صفاته أو يكون معه في الوجود مؤثر في فعل من الأفعـــال . (والعجز) ضد القدرة (والكراهة) ضد الإرادة . والمراد بالكراهة بمعنى عدم إرادة الله تعالى للفعل أي فيستحيل أن يقع في ملك مولانا جل وعز ما لا يريد ، (والجهل) ضد العلم ويدخل في الجهل الظن والشك والوهم والنسيان والندم ، وكون العلم نظرياً ونحو ذلك لمنافاتها العلم كمنافـاة الجهل له . (والموت) ضد الحياة (والصمم) ضد السمع (والعمى) ضد البصر والمراد بالصمم والعمى في هذا الموضع عـدم السمع والبصر بوجود ما ينافيهما أو غيبة موجود مـــا من الموجودات عن صفتي السمع والبصر لما سبق من وجوب تعلقهما بكل موجود . (والبكم) عدم الكلام أصلا بوجود آفـــة تمنع من وجوده ، وفي معناه السكوت ، وكونه بالحرف والصوت وكل ما يشبه كلام الحوادث ، (وكونه تعالى عاجزاً) ضده كونه تعالى قادراً ، (كارهاً) ضده مريداً ، (وجاهلا) ضده عالماً ، (وميتاً) ضده حياً (وأصم) ضده سميعاً ، (وأعمى) ضده بصيراً ، (وأبكم) ضده متكلماً .

ولما فرغ من ذكر تعداد الصفات الواجبة والمستحيلة أراد أن يذكر كل صفة مع ضدهـــا زيادة في الإيضاح فقال : (فإذا عرفت هذا) أي ما تقدم (فالوجود واجب لله) أي لا يقبل الانتفاء بحال أي لا سابقاً ولا لاحقاً، ولذلك يلزم منه وجوب القدم والبقاء ، ودليل وجوب الوجود لله افتقار كل محـــدث -بفتح الدال - اسم مفعول- إلى صانع أي محدث بكسرها وافتقار كل حادث إلى محدِث ومنهم من قال إنه أمر ضروري لا يفتقر إلى دليل .

(والعدم) هو نقيض الصفة الأولى وهي الوجود أي مناف لها (مستحيل على الله) أي لا يقبل الثبوت ، (والقدم واجب لله) أي لا يقبل الانتفاء وهو عبارة عن سلب العدم السابق على الوجود ، وإن شئت قلت هو عبارة عن عدم افتتاح الوجود (والحدوث مستحيل عليه) هو نقيض الصفة الثانية وهي القدم

(والبقاء واجب لله) وهو عبارة عن سلب العدم اللاحق للوجود ، وإن شئت قلت هو عبارة عن نفي الآخرية ، والعبارتان بمعنى واحـــد . (والفناء) هو نقيض الصفة الثالثـــة وهي البقاء ، (مستحيل عليه) أي لا يقبل الثبوت ، (ومخالفته تعالى للحوادث واجبة لله) أي لا يماثله تعالى شيء منها مطلقاً لا في ولا في الصفات ولا في الأفعال ، قال الله تعالى : « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » . (والمماثـلة مستحيلة عليه) أي لا تقبل الثبوت . وأوجه المماثلة بأن يكون جرماً . . . إلى آخر أوجه المماثلة وقد مرّ ذلك .

(والقيام بالنفس) أي لا يفتقر إلى محل ولا مخصص (واجب لله) أي لا يقبل الانتفاء أي مما يجب له تعالى أي يقوم بنفسه أي بذاته ، ومعنى قيامـــه تعالى بنفسه سلب افتقاره لشيء من الأشياء ، فلا يفتقر إلى محـل أي ذات سوى ذاته يوجد فيها كما توجد الصفة في الموصوف ، لأن ذلك لا يكون إلا للصفات . وكذلك لا يفتقر إلى مخصص أي فـــاعل يخصصه بالوجود لا في ذاته ولا في صفة من صفاته . (والاحتياج مستحيل عليـه) أي يستحيل عليه تعالى أن لا يكون قائماً بنفسه بأن يكون صفة تقوم بمحل أو يحتاج إلى مخصص (والوحدانية) أي نفي الكثرة في ذاته تعالى ويسمى الكم المتصل ، والثاني نفي النظير له جل وعز لذاته أو صفة من صفاتـــه ويسمى الكم المنفصل ، والثالث إنفراده تعالى بالإيجـــاد والإعدام والتدبير العـام . (والتعدد في الذات والصفات والأفعال مستحيل عليه) أي لا يقبل الثبوت ، فالوحدانية تنفي التركيب في ذاته تعالى ووجود ذات أُخرى تماثل الذات العلية كما مر في الكموم .

(والقدرة واجبة لله تعالى) وهي صفة تؤثر في إيجاد الممكن وإعدامه ، (والعجز) عن ممكن ما سواء كان جرماً أو عرضاً أو غيرهما (مستحيل عليه) أي لا يقبل الثبوت (والإرادة واجبة لله) وهي صفة تؤثر في اختصاص أحد طرفي الممكن من وجود أو عدم . (والكراهة) أي إيجاد شيء من العالم مع

كراهته لوجوده أي عدم إرادته له تعالى، أو مع الذهول أو الغفلة، (مستحيل عليه) أي لا يقبل الثبوت ، (والعلم واجب لله) وهو صفة ينكشف بها ما تتعلق به انكشافاً لا يحتمل النقيض بوجه من الوجوه، (والجهل مستحيل عليه) وهو عدم العلم بالشيء عما من شأنه العلم ، (والحياة واجبة لله تعالى) وهي صفة تصحح لمن قامت به أن يتصف بالإدراك ، (والموت مستحيل عليه) وهو عند أهل السنة صفة وجودية قائمة بالميت يمكن رؤيتها تمنع اتصافه بالإدراك ، (والسمع واجب لله) وهو صفة أزلية تتعلق بكل موجود تعلق انكشاف . (والصمم مستحيل عليه تعالى) اعلم أن للصمم حقيقتين، حقيقة عامة، وحقيقة خاصة ، فحقيقته العامة عدم السمع بسبب وجود آفة تمنعه ، وهذا المعنى محال في حق الله وجائز في حقنا، وحقيقته الخاصه بالله غيبةموجود ما من الموجودات عن صفة السمع بحيث لا تتعلق بذلك الموجود ، (والبصر واجب لله) وهو صفة أولية ينكشف بها لله كل مبصور ، (والعمى وما في معناه مستحيل عليه) اعلم أن للعمى حقيقتين : حقيقته العامة عدم البصر ، والخاصة بالله غيبة موجود ما عن صفة البصر ، (والكلام واجب لله) وهو صفة أزلية ليس بحرف ولا صوت ، (والبكم وما في معناه مستحيل عليه) والمراد بالبكم عدم الكلام أصلا بوجود آفة تمنع من وجوده ، وفي معناه كونه بالحرف والصوت ، (وكونه تعالى قادراً واجب لله تعالى) أي وحيث وجبت له القدرة فهو قادر . والقدرة معناها إيجاد ما يشاء وإعدام ما يشاء حسب إرادته، (وكونه عاجزاً مستحيل عليه) أي لا يقبل الثبوت أي ولا يعقل أن يكون عاجزاً ، (وكونه تعالى مريداً واجب لله) تعالى ، (وكونه كارهاً مستحيل عليه) أي يستحيل أن يكون الله مكرهاً على فعل شيء لا يريده لأنه لو كان مكرهاً لكان عاجزاً ولو كان عاجزاً لما وجدت هذه المخلوقات. قال تعالى « وربك يخلق ما يشاء ويختار »

(وكونه عالماً واجب لله تعالى) فهو عبارة عن قيام العلم به تعالى الذي هو صفة أزلية متعلقة بجميع الواجبات والجائزات والمستحيلات على وجه الإحاطة على ما هي به من غير سبق خفاء . (وكونه جاهلاً مستحيل عليه) أي لا يقبل الثبوت بحال ، (وكونه حياً واجب لله) تعالى وهي صفة أزلية تقتضي صحة الاتصاف بالعلم ، أي تقتضي صحة الاتصاف به ، وكما تقتضي صحة الاتصاف بالعلم تقتضي صحة الاتصاف بغيره من الصفات الواجبة ،(وكونه ميتاً مستحيل عليه) أي لا يقبل الثبوت ، (وكونه سميعاً واجب لله) أي وحيث وجب له السمع فهو سميع ، والسميع هو الذي يسمع كل موجود (وكونه أصم مستحيل عليه) أي لا يقبل الثبوت ، (وكونه بصيراً واجب لله) أي وحيث وجب له البصر فهو بصير ، والبصير هو الذي ينكشف له جميع المبصرات على ما هي من غير سبق خفاء يبصر الأشياء فيحيط بالمسموعات والمبصرات من غير أن يشغله شأن عن شأن ، (وكونه متكلماً واجب لله) أي وحيث وجب له الكلام فهو متكلم ، وقد مر ذلك ، (وكونه أبكم مستحيل عليه) أي لا يقبل الثبوت .

ولما فرغ من ذكر الواجبات والمستحيلات ، شرع في ذكر الجائز في حقه تعالى فقال :

(والجائز في حقه تعالى فعل كل ممكن أو تركه) وهذا هو القسم الثالث وهو ما يجوز في حقه تعالى . وهو فعل كل ممكن أو تركه ، أي فعل ما قضى العقل بإمكانه أي باستواء طرفيه : الوجود والعدم . سواء كان خيراً أو شراً كان فعلاً اختيارياً للعبد أم لا ، فيدخل في ذلك الثواب والعقاب وبعث الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والصلاح والأصلح للخلق ، لا يجب من ذلك شيء على الله تعالى . قال في الجوهرة :

وجائز في حقه ما أمكنا   إيجاداً وإعداماً كرزقه الغنى

(فالواجبات العشرون) تنقسم إلى أربعـــة أقسام : (نفسية وسلبية ومعاني ومعنوية) فالنفسية واحدة، وهي الوجود ، وهو يعبّر عن نفس الذات (وسلبية) وهي ما يرجع في المعنى إلى سلب ، أي نفي ، أي نقص ، مستحيل عليه تعالى ، وذلك خمس صفات وهي : (القدم والبقـــاء والمخالفة للحوادث والقيام بالنفس والوحدانية) وقد تقدم شرحها . (والمعاني) وهي عبارة عن الصفات الوجوديه القائمة بالذات العلية وهي سبعة: (القدرة والإرادة والعـــلم والحياة والسمع والبصر والكلام) وقد تقدم شرحها . (والمعنوية سبعة) وهي كونه تعالى (قادراً) والقدرة معناها أيضاً إيجاد ما يشاء وإعدام ما يشاء حسب إرادته ، وضدها العجز ، ولا يعقل أن يكون الإله الخالق عاجزاً ، إذ لو كان عاجزاً لما أمكنه أن يخلق بعوضة ، قال تعالى : « إن الله على كلّ شيء قدير » (ومريداً) أي ولا تجب عليه فعل شيء وجوب تحتم « لا يسأل عما يفعل وهم يسألون » (وعالماً وحياً وسميعاً وبصيراً ومتكلماً) وقد مر معنى ذلك .

(فصل في أن صفات الله تنقسم إلى أنواع)

(أي أربعة أنواع : فالنفسية سميت نفسية لأنها دلت على نفس الذات) لا غير (والسلبية سميت سلبية لأن كل واحدة منها دلت على سلب أمر لا يليق لله) وليس المراد بكونها سلبية أنها مسلوبة عن الله ومنتفية عنه ، وإلا لزم أن يثبت له الحدوث وطرُو العدم والمماثلة للحوادث ، بل المراد بكونهـــا سلبية أن كل واحدة سلبت أمراً لا يليق بمولانا عز وجل كما ذكر المصنف وغيره . فالقدم معناه سلب أي نفي سبق العـــدم على الوجود وهكذا . (والمعاني سميت معاني لأن كل واحدة لها معنى موجود قائم بذات الله العلية زائد عليها . (والمعنوية سميت معنوية لأنها نوع من المعاني) وسميت معنوية لأن الاتصاف بها فرع الاتصاف

بالسبعة الأول . فالياء في لفظ المعنوية ياء النسب نسبت للمعنى .

(وصفات المعاني سبعة) التي هي القدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام ، وقد مر معنى ذلك . (كل واحدة لها سبعة مطالب) جمع مطلب وهو ما طلب تحصيله (إلا الحياة فإن لها ستة مطالب بإخراج التعلق) لأنها لا تتعلق بأمر ومعنى ، أنها لا تتعلق بشيء ، أنها لا تقتضي أمراً زائداً على القيام بمحلها .

(فصل في قدرة الله تعالى)

(فالقدرة) وهي صفة بها الإيجاد والإعدام على وفق الإرادة ، وهو تعالى مبدع الكائنات على مقتضى علمه وإرادته ، (لها سبعة مطالب) يطلب من المكلف اعتقادها (نشهد ونعتقد أن قدرة الله موجودة) تؤثر في إيجاد الممكن وإعدامه وإسناد التأثير للقدرة مجاز عقلي ، إذ المؤثر هو المولى بقدرته (وقديمة) أي بقدمه ، فلا أول لها (وباقية) ببقائه أي لا آخر لها (ومخالفة لقدرتنا الحادثة) أي المتجددة . (وغنية عن المخصص) أي فاعل يخصها بالوجود أو ضده (وواحدة) لأن وحدانية الصفات تنفي التعدد في حقيقة كل واحدة من الصفات . (وعامة التعلق بجميع الممكنات) دون الواجبات والمستحيلات . وللقدرة تعليقان صلوحي قديم وتنجيزي حادث . فالتعلق الصلوحي القديم صلاحية القدرة في الأزل للإيجاد والإعدام في ما لا يزال . والتعلق التنجيزي الحادث إيجاد القدرة وإعدامها الممكن بالفعل فيما لا يزال .

(فصل في الإرادة)

والإرادة صفة أزلية يتأتى بها تخصيص الممكن ببعض ما يجوز عليه كما مر ، ولك أن تقول هي صفة تخصص فعل العالم . (والإرادة لها سبعة مطالب) يطلب من المكلف اعتقادها (نشهد ونعتقد أن إرادة الله موجودة وقديمة) أي صفة قديمة زائدة على الذات قائمة به تؤثر في اختصاص أحد طرفي الممكن من وجود أو عدم . (وباقية) ببقائه تعالى ، (ومخالفة لإرادتنا الحادثة) أي المتجددة ، (وغنية عن المخصص) أي الموجد ، (وواحدة) أي ليست متعددة (وعامة التعلق بجميع الممكنات) أي الممكنات المتقابلات الستة ، وقد مر الكلام عليها . قال في الجوهرة :

وقدرة إرادة وغـايرت ... أمراً وعلماً والرضا كما ثبت

قال في شرح الصغرى متعلق القدرة والإرادة واحد وهو الممكنات دون الواجبات والمستحيلات ، إلا أن جهة تعلقهما مختلفة ، القدرة صفة تؤثر في إيجاد الممكن وإعدامه ، والإرادة صفة تؤثر في اختصاص أحد طرفي الممكن من وجود وعدم ، وللإرادة بالممكن تعلقان : صلوحي قديم وتنجيزي قديم ، فالتعلق الصلوحي القديم صلاحية الإرادة في الأزل لتخصيص كل ممكن بأي أمر من الأمور المتقابلة الجائزة عليه ، والتعلق التنجيزي القديم تخصيص الإرادة في الأزل ، كل ممكن ببعض ما يجوز عليه بدل البعض الآخر .

(فصل في العلم)

(والعلم) صفة ينكشف بها المعلوم على ما هو به انكشافاً لا يحتمل

النقيض بوجه من الوجوه كما مر ، ولك أن تقول هو صفة أزلية متعلقة بجميع الواجبات والجائزات والمستحيلات (وله سبعة مطالب) وهي : (نشهد ونعتقد أن علم الله موجود) لأنه من الصفات الوجودية (وقديم) أي بقدمه (وباق) أي ببقائه ، (ومخالف لعلمنا الحادث) لأن علمنا مخلوق لله ومكتسب ، وأما علمه تعالى فليس بمكتسب . قال في الجوهرة :

وعلمه لا يقال مكتسب فاتبع سبيل الحق واطرح الريب

(وغني عن المخصص) أي الموجد ، (وواحد) أي ليس بمتعدد ،(وعام التعلق بجميع المعلومات) أي جميع الواجبات والجائزات والمستحيلات ، فمعنى قوله : عام التعلق بجميع المعلومات ، أن جميع هذه الأمور منكشفة لعلمه ومتضمنة له تعالى أزلاً وأبداً بلا تأمل ولا استدلال، اتضاحاً لا يمكن أن يكون في نفس الأمر خلاف ما علمه عز وجل . قاله بعض علماء الكلام ، وللعلم تعلق واحد تنجيزي قديم ، وهو تعلق العلم أزلاً بجميع الواجبات والمستحيلات والممكنات تعلق إحاطة وانكشاف دون سبق خفاء أو جهل انتهى .

(فصل في الحياة)

(والحياة) وهي صفة تصحح لمن قامت به أن يتصف بالإدراك كما تقدم . (لها ستة مطالب) يطلب اعتقادها . (نشهد ونعتقد أن حياة الله موجودة وقديمة وباقية ومخالفة لحياتنا الحادثة) التي هي كيفية يلزمها قبول الحس والحركة الإرادية ، أي عرض يلزمه قبول الإحساس وقبول الحركة الإرادية بخلاف الحركة الاضطرارية كحركة الحجر بحركة محركه . وحياة الله تعالى ليست بروح ، وحياتنا ليست لذاتنا بل بسبب الروح ، (و) حياة الله (غنية عن

المخصص) أي الموجد ، (وواحدة) ولا تعلق لها بشيء ، ومعنى كونها لا تتعلق بشيء أنها لا تقتضي أمراً زائداً على القيام بمحلها ، وعدم تعلق الصفة معناه عدم اقتضاء الصفة أمراً زائداً على قيامها بموصوفها ، والصفة غير المتعلقة هي التي لا تقتضي أمراً زائداً على قيامها بموصوفها كالحياة ، فإنها قائمة بموصوفها ولا تقتضي أمراً زائداً على قيامها بموصوفها . كما ذكر ذلك بعض علماء الكلام.

(فصل في السمع)

(والسمع) وهو صفة أزلية قائمة بذاته تعالى (له سبعة مطالب) نشهد ونعتقد أن سمع الله موجود) قائم بذاته ، (وقديم) بقدمه ، (وباق) ببقائه (ومخالف لسمعنا الحادث) لأن سمعنا الحادث هو قوة مودعة في العصب المفروش في معقر الصماخ ،تدرك بها الأصوات على وجه العادة ، وقد يدرك بها غير الأصوات فقد سمع سيدنا موسى كلام الله القديم وهو ليس بحرف ولا صوت ، وسمعنا إنما يتعلق عادة ببعض الموجودات ، وهي الأصوات على وجه مخصوص من عدم البعد والسر جداً ،(وغني عن المخصص)أي الموجد(وعام التعلق بجميع الموجودات) أي الأصوات وغيرها سواء كان الموجود واجباً أو ممكناً ، ولا يتعلق بالمعدوم سواء أكان المعدوم مستحيلاً أو ممكناً. وللسمع تعلقات ثلاثة ، أحدها صلوحي قديم ، وهو صلاحية السمع في الأزل للتعلق بما سيوجد من الممكنات . ثانيها تنجيزي قديم ، وهو تعلقه أولاً بذات الله تعالى وصفاته تعلق انكشاف . ثالثها تنجيزي حادث وهو تعلقه فعلاً بالممكنات بعد وجودها تعلق إحاطة وانكشاف.

(فصل في البصر)

(والبصر) وهو صفة أزلية قائمة بذاته تعالى . (له سبعة مطالب :نشهد

ونعتقد أن بصر الله موجود) قائم بذاته (وقديم) أي بقدمه (وباق) ببقائه أي غير فان (ومخالف لبصرنا الحادث) لأن بصرنا الحادث هو قوة مخلوقة في العصبتين المجوفتين المتلاقيتين تلاقياً صليبياً هكذا × أو المتلاقيتين تلاقي دالين ظهر أحدهما في ظهر الآخر هكذا × ، تدرك بها الأضواء والألوان والأشكال وغير ذلك مما يخلق الله إدراكه في النفس . تعالى الله عن ذلك . وبصرنا أيضاً ، إنما يتعلق ببعض الموجودات، وهي الأجسام وألوانها وكونها في جهة مخصوصة (وغني عن المخصص) أي الموجد (وواحد) أي ليس بمتعدد (وعام التعلق بجميع الموجودات) فيبصر سبحانه وتعالى جميع الموجودات حتى الأصوات ولو خفية جداً كدبيب النملة السوداء في الليل المظلم ، بمعنى أن ذلك منكشف لله ببصره تعالى .

وللبصر تعلقات ثلاثة : أحدها صلوحي قديم وهو صلاحية البصر في الأزل للتعلق بما سيوجد من الممكنات . ثانيها تنجيزي قديم وهو تعلقه بذات الله تعالى وصفاته تعلق انكشاف . ثالثها تنجيزي حادث وهو تعلقه فعلاً بالممكنات بعد وجودها تعلق إحاطة وانكشاف .

(فصل في الكلام)

(والكلام) هو صفة أزلية قائمة بذاته تعالى ليست بحرف ولا صوت . وقد مر الكلام عليه . (له سبعة مطالب نشهد ونعتقد أن كلام الله موجود وقديم وباق ومخالف لكلامنا الحادث) أي إن كلام الله تعالى ليس ككلامنا المؤلف من صوت وحروف وغير ذلك من صفات الحوادث (وغني عن المخصص) أي الموجد (وواحد) أي ليس بمتعدد لأنها صفة واحدة لا تعدد فيها ، لكن لها أقسام اعتبارية ، فمن حيث تعلقه بطلب فعل الصلاة أمر ، ومن حيث تعلقه بطلب ترك الزنا مثلاً نهي ، ومن حيث تعلقه بأن فرعون فعل مثلاً كذا خبر ،

ومن حيث تعلقه بأن الطائع له الجنة وعد ، ومن حيث تعلقه بأن الفاجر يدخل النار وعيد ، إلى غير ذلك . فتقسيمه إلى أمر ونهي وخبر وغير ذلك إنما هو لتلك المدلولات التي دل عليها الكلام الحسي . وأما الصفة القديمة فيستحيل انقسامها. ذكر ذلك بعض علماء الكلام . وللكلام تعلق واحد كما قال الشيخ : (وعام التعلق بجميع المعلومات) أي تعلق دلالة ، والمراد بالمعلومات الواجبات كذاته وصفاته ، والمستحيلات كالولد والشريك إلى آخره ، والجائزات كبعثة الرسل ، وتعلقه واحد تنجيزي قديم هو تعلق الكلام في الأزل بجميع الواجبات والمستحيلات والممكنات تعلق دلالة وإفهام .

(فصل في صفات المعاني)

(وصفات المعاني) والإضافة في صفات المعاني ، للبيان أي قصد بها بيان المضاف أي تسمى تلك الصفات السبعة التي هي موجودة في نفسها ، كعلمه تعالى وقدرته ، وكل صفة موجودة في نفسها فإنها تسمى في الإصطلاح صفة معنى . (السبعة) وهي القدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام ، (تنقسم إلى أربعة أقسام قسم لا يتعلق بشيء وهو الحياة) ، والمعنى أن الحياة لا تتعلق بشيء ، أي أمر موجود أو معدوم فليست الحياة من الصفات المتعلقة ، لأنها صفة مصححة لمن قامت به أن يتصف بصفات الإدراك ولا تقتضي أمراً زائداً على قيامها بموصوفها .

(وقسم يتعلق بجميع الممكنات كقدرة الله تعالى) فإنها قائمة بذاته تعالى وتقتضي مقدماً تؤثر فيه الوجود أو العدم[1] ، وتقتضي معلوماً ينكشف بها ، والذي يتعلق بالممكنات (وهو القدرة والإرادة) ، فالقدرة صفة أزلية يتأتى

---

(١) فهي متعلقة بذلك المقدور ، وكالعلم فانه صفة قائمة بموصوفها ..

بها إيجاد الممكن وإعدامه . والإرادة صفة أزلية تخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه من وجود أو عدم ومقدار وزمان ومكان وجهة ، وهي المتقابلات الستة التي مر الكلام عليها .

(وقسم يتعلق بجميع الموجودات وهو السمع والبصر) أي فسمع الله تعالى وبصره يتعلقان بالوجود فقط ، سواءاً أكان الموجود واجباً أم ممكناً ، ولا يتعلقان بالمعدوم سواء أكان المعدوم مستحيلاً أم ممكناً . (وقسم يتعلق بجميع المعلومات ، أي الموجودات مطلقاً ، والمعدومات تعلق انكشاف ، وهي أقسام الحكم العقلي الثلاثة (وهو العلم والكلام) وقد مر الكلام عليها .

(والممكنات) جمع ممكن ، وهو ما قضى العقل بإمكانه أي باستواء طرفيه : الوجود والعدم سواء كان خيراً أو شراً ، فعلاً اختيارياً أم لا فيدخل فيه الثواب والعقاب ، وبعث الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، والصلاح والأصلح للخلق لا يجب شيء من ذلك عن الله تعالى كما مر . وهي (على خمسة أقسام فممكن وجد وانقضى) أي أوجده الله من العدم وانقضى حكمه (وممكن موجود في الحال ، وممكن سيوجد في المستقبل وممكن علم الله أنه لا يعدم .) كنعيم أهل الجنة في الجنة وعذاب الكفار في النار ، وكلها جائزة في حقه تعالى لا يجب عليه شيء منها .

(فصل في الموجودات)

(والموجودات على قسمين) واجبة وجائزة (موجود قديم وموجود حادث) . فالموجود القديم ذات الله وصفاته وأسماؤه . ولله تعالى تسعة وتسعون اسماً ، يجب على كل مسلم معرفتها وحفظها ، وتنقسم إلى جملة أقسام . فمنها أسماء الذات ، ومنها أسماء الصفات ، ومنها أسماء الإجلال ، إلى غير ذلك . ووجوده تعالى ليس له أول ولا يتقيد بزمان ولا مكان لحدوث كل منهما ، فلا

يتقيد بواحد منهما إلا ما هو حادث مثلهما . (والموجود الحادث ذواتنا) جمع ذات (وصفاتنا) لأنها أعراض حادثة بدليل مشاهدة تغيرها . فلو كانت قديمة لزم أن لا تنعدم ، (وأسماؤنا) وهي أيضاً حادثة متجددة .

(فصل في المعلومات)

(والمعلومات على ثلاثة أقسام : واجب ، ومستحيل ، وجائز .) وقد مر الكلام عليها ، (فالواجب ذات الله وصفاته وأسماؤه ، والمستحيل والولد وسائر النقائص) كالزوجة وغيرها ، (والجائز ذواتنا وصفاتنا وأسماؤنا) وقد مر الكلام عنها .

(والقدرة والإرادة تتعلقان بجميع الممكنات المتقابلات المتنافرات التي لا يصح اجتماعها في محل واحد، وهي ستة تقابلها ستة : الوجود والمقادير والصفات والجهات والأمكنة والأزمنة) وقد مر الكلام عليها .

وأما الموجودات على أربعة أقسام لا خامس لها (قسم غني عن المحل والمخصص) أي لا يفتقر إلى محل ولا مخصص . لا يفتقر إلى محل أي ذات سوى ذاته يوجد فيها كما توجد الصفة في الموصوف لأن ذلك لا يكون إلا للصفات، وهو تعالى ذات موصوف بالصفات. وكذلك لا يفتقر إلى مخصص أي فاعل يخصصه بالوجود لا في ذاته ولا في صفة من صفاته (وهو ذات مولانا جل وعلا) أي تنزه.

(وقسم يحتاج إلى المحل والمخصص وهو صفات الحوادث) فذوات الحوادث مفتقرة إلى مخصص ومستغنية عن الذات التي تقوم بها، وصفات الحوادث مفتقرة إليها ، (وتسمى الأعراض) جمع عَرَض ، وهو ما قابل الصفة . (وقسم يحتاج إلى المخصص) أي الموجد ، (دون المحل فهو ذوات الحوادث وتسمى الأجرام) جمع جرم وهو ما قابل العرض . (وقسم موجود في المحل وغني عن المخصص ،

أي الموجد وهو صفات مولانا جل وعلا) فإنها تقوم بمحل وليس له مخصص ، وهو صفاته تعالى .

(والمعلومـــات على قسمين : معلوم موجود ومعلوم معدوم ، فالمعلوم الموجود على قسمين : قديم وحـــادث ، فالقديم ذات الله وصفاته وأسماؤه ، والحادث ذواتنا وصفاتنا وأسماؤنا ، والمعلوم المعدوم على قسمين: مستحيل وجائز فالمستحيل كالشريك) أي والولد ، (وسائر النقائص) كالزوجة وغيرها .

(والجائز كالممكنات الثلاثة) وهي : ممكن علم الله أنه لا يوجد ، كإيمان أبي جهل ، والثاني ممكن علم الله أنه لا يعدم كنعيم أهل الجنة في الجنة ، والثالث كعذاب الكفار في النار، وكلها جائزة في حقه تعالى لا يجب عليه شيء منها كما مر.

(فصل في مشكلات التوحيد)

يقال أشكل الأمر – بالألف – التبس ، والمعنى المشكلات التي لا تدركها العقول ، بل يجب الإيمـــان بها كما أخبر بذلك الشرع . (ومشكلات التوحيد أربعة) أولها (موجود بلا مكان) أي فالله تعالى لا يتصف بالمـــكان لأنه من صفات الحوادث، فلا يقال الله فوق العرش ولا تحته، وليس له مكان أصلا سبحان من هو موجود قبل المكان بلا مكان ، وهو بعد أن أوجد المكان ليس فيه ، منزه عن التحيز والحلول ، مبرأ عن التغير والفتور .

(ورؤية بلا جهة) أي فالله تعالى ليس له جهة ، فالمعنى أن الرؤية لا يشترط فيها عقلا عند أهل السنة اتصال شعاع ولا مقابلته ولا رؤيته ولا جهته ، وإنما هذه أمور عادية يجوز تخلفها ، وموضوع الرؤية بدونهـــا ، فلزوم الجهة والحيز ممنوع ، إذ الرؤية قوة يجعلها الله في خلقه لا يشترط فيها مقابلة المرء ولا كونه في جهة وحيز وغير ذلك . (وكلام ليس بحرف ولا صوت) لأن كلامــه

جل وعلا صفة أزلية قائمة بذاته ليس بحرف ولا صوت منزهة عن جميع صفات الحوادث ، وقد مر معنى ذلك .

(والجهــات ستة فوق) هو ظرف نقيض تحت (وتحت) نقيض فوق (ويمين) المراد بها الجهة لا الجارحة ، وشمال أيضاً الجهة (وأمــام) يقال أمام الشيء مستقبله وهو ظرف ، (وخلف) ضد أمام .

فالمولى سبحانه وتعالى ليس في واحد من هذه الجهات ولا في جميعها ، والله أعلم هذا هو التقليد . والتقليد هو الأخذ بقول الغير من غير أن يعرف دليله ، والمراد بالأخذ اعتقاد مضمون قول الغير . قال في الجوهرة :

إذ كلُّ من قلد في التوحيد إيمانه لم يخلُ من ترديد
ففيه بعض القوم يحكي الخُلفَ وبعضهم حقق فيه الكشف

والمراد بإيمانه جزمه بأحكام التوحيد من غير دليل ، وليس المراد بــه المعرفة إذ لا معرفة عند المقلد .

(فصل في المعرفة تفصيلاً)

والمعرفة والعلم بمعنى واحد ، وهو الإدراك الجازم المطابق للواقــع عن دليل . والمراد بمعرفة الله ، معرفة صفاته وسائر أحكام الألوهية ، لا معرفــة ذاته وكنه حقيقته ، إذ لا يعرف ذاته وكنه حقيقته إلا هو . وفي الحديث : « تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق ، فإنه لا تحيط به الفكرة » . وفي الحديث أيضاً : « إن الله احتجب عن البصائر كما احتجب عن الأبصار » وبالجملة لا يعرف الله إلا الله ، فــترك الإدراك إدراك ، والبحث عن ذات الله إشراك . فإن الحادث يقصر بالطبع عن عظم هذا المقــام . قال الشريف المقدسي في مفاتيح الكنوز :

ظننت جهلا بأن الله تدركه ثواقب الفكر أو تدريه أيقانا
أو العقول أحاطته بديهتها أو هل أقامت به لولاه برهانا
الله أعظم قدراً أن يحيط به علم وعقل ورأي ،جل سلطانا
هذا اعتقادي فإن قصرت في عملي فأسأل الله توفيقاً وغفرانا

وسئل بعض العلماء عن الله فقال : إن سألت عن أسمائه فله الأسماء الحسنى قال الله : « ولله الأسماء الحسنى » . وإن سألت عن صفاته فقد قال : « قل هو الله أحد » الى آخر السورة . وإن سألت عن أقواله فإنما قال : « إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون » ، وإن سألت عن أفعاله فقد قال : « كل يوم هو في شأن » ، وإن سألت عن نعته فقد قال تعالى : « هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم » ، وإن سألت عن ذاتة فقد قال : « ليس كمثله شيء » .

قال المصنف : (وأما المعرفة فهي أن يقيم المكلف على كل عقيدة دليلا إجمالياً) يخرج بمعرفته المكلف عن ربقة التقليد المختلف في إيمان صاحبه كما مر . (ويتصف بالمعرفة) وهي الجزم المطابق عن دليل كما قدمنا ، (ويسمى هذا الدليل برهاناً) أي دليلا قاطعاً للشبهة (وشاهداً وحجة وبيّنة) هذه ألفاظ مترادفة (وأعظم الأدلة هذه المخلوقات المشاهدة بالعيون) فنستدل بها على وجوب وجود صانعها وصفاته (فمن أنكر دلالتها على صانعها فهو كافر بالله العظيم)

وفي كلّ شيء له آية تدلُّ على أنه الواحد .

(ولهذا قال العلماء إن حدوث العالم أصل عظيم لسائر العقائد) التوحيدية (وأساس كبير بما يأتي من الفوائد) والعالم – بفتح اللام – إسم لما سوى الله وصفاته من الموجودات والأحوال على القول بها ، وحاصله أن تقول إن العالم حادث وكل حادث لا بد له صانع من حكيم متصف بالصفات ، قال الله تعالى :

« إنّ في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهـــار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا بـه الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابــة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعلمون » .

(فمن قال بقدمــه أو شك في حدوثه فهو كافر بالله العظيم) وإذا أردت أن تثبت حدوث العالم فإنك تثبت أولاً حـدوث الأعراض بمشاهدة تغيرها من عدم إلى وجود وعكسه فتقول : الأعراض شوهد تغيرهـا من عدم الى وجود وعكسه وكل مــا هو كذلك فهو حادث ينتج أن الأعراض حادثة . ثم تثبت حدوث الاجرام واستحالة القدم عليها بملازمتها للأعراض الحادثة فتقول: الاجرام ملازمة للأعراض الحادثة وكل ما كان كذلك فهو حادث ويستحيل عليه القدم فينتج أن الاجرام حادثة ويستحيل عليها القدم انتهى .

(فائدة) (ما الدليل؟) هو لغة المرشد والكاشف والمراد به هنا البرهان (وما نفس الدليل ؟ وما وجه الدليل ؟ وما الجهــة التي يدل منها الدليل ؟) فتقول : فالدليل هو العالم وهو بفتح اللام وهو ما سوى الله وقد مر الكلام عليه (ونفس الدليل حدوثه) أي العالم (ووجه الدليل افتقاره) أي الى محــدث – بكسر الدال – (والجهة التي يــدل منها الدليل) أي القاطع لكل شبهة (استحالة وجوده من غير صانع) ، لأن العالم حـادث وكل حادث لا بد له من صانع يرجح أحد طرفيه لأنه لو لم يكن له محدث بل حدث بنفسه ، لزم أن يكون أحــد الأمرين المتساويين مساوياً لصاحبه راجحاً عليه بلا سبب ، وهذا محال .

ودليل حدوث العالم ملازمته للأعراض الحادثة من حركة وسكون وغيرهما وملازم الحادث حادث . ودليل حدوث الأعراض مشاهدة تغيرها من عدم الى وجود ومن وجود الى عدم .

(فإذا عرفت هذا) الإشارة راجعة الى ما تقدم من أول الكتاب الى هنا ثم شرع في بيان الأدلة فقال : (فالوجود) أي الذاتي بمعنى أن وجوده لذاته لا لعلة ، أي أن الغير ليس مؤثراً في وجوده تعالى ، وليس المراد أن الذات مؤثرة في نفسها . وأما الوجود غير الذاتي كوجودنا فهو بفعله تعالى .

(واجب لله) لا يقبل الإنتفاء ، أي لا يمكن عدمه لا أزلاً ولا أبـــداً (والعدم) وهو ضد الوجود (مستحيل عليه) (والدليل على ذلك) أي على وجوب الوجود له (هذه المخلوقات) جمع مخلوق ، ومنها الإنسان ، وما اشتمل عليه من سمـــع وبصر وكلام وطول وعرض ورضاء وغضب ، فنستدل به على وجوب وجود صانعه وصفاته . قال تعالى : « وفي أنفسكم أفلا تبصرون » أي لا ينبغي لكم ترك النظر فيهـا ، وقال تعالى : « ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين » ثم بعد نظرك في أحوال النفس انتقل الى غيرها ، الى ما ارتفع من الفلكيات من سماوات وكواكب وعرش وملائكة وغيرها ، ثم انتقل الى ما نزل عن الفلكيات كالهواء والسحاب والأرض ومافيها من المعادن والبحار والنبات وغير ذلك – مما لا يعلمه إلا خالقه – من المخلوقات.

(لأن الله تعالى لو لم يكن موجوداً لكان معدوماً ، ولو كان معدوماً لم يوجد شيء من هذه المخلوقات) وهذه المخلوقات دليلها المشاهدة، ثم ثبت بهذا أن وجود الحادث بلا محدث مستحيل فلا بد لكل حادث من محدث يخرجه من ظلمة العدم الى نور الوجود ، فتمت لنا الدعوى وهي أن هذا العالم الحادث لا بد له من محدث ، ثم إن هذا المحدث – بكسر الدال – لا بد أن يكون موجوداً لأن المعدوم لا يصلح أن يكون موجداً لشيء من المخلوقات .

ثم شرع في الصفات السلبية التي دلت على سلب أمر لا يليق بـه سبحانه وتعالى فقال : (والقدم) أي الذاتي وهو عدم افتتاح الوجود ، وإن شئت قلت هو عدم الأولية ، (واجب لله) (والحـــدوث مستحيل عليه) أي لا يقبل

الثبوت ، (والدليل على ذلك هذه المخلوقات ، لأن الله تعالى لو لم يكن قديماً لكان حادثـــاً ، ولو كان حادثاً لم يوجد شيء من هذه المخلوقات) لكن نفي المخلوقات محال للمشاهدة ، (والبقاء واجب لله) والمراد في حقه عدم الآخرية للوجود ، (والفناء مستحيل عليه) أي لا يقبل الثبوت . (والدليل على ذلك هذه المخلوقات ، لأن الله تعالى لو لم يكن باقياً لكان فانيـــاً ، ولو كان فانياً لم يوجد شيء من هذه المخلوقات) ، ولك أن تقول أنه قد ثبت وجوب القدم الذاتي لله تعالى واستحالة الحدوث عليه سبحانه ، وما دام أنه تعالى قديم لذاته ، وذاته تعالى قائمة وقيامها يستلزم وجودهـا فلا يجوز أن يقبل الفناء والزوال ، فثبت بهذا أن الله تعالى يجب له البقاء ويستحيل عليه ضده ، وهو الفناء وهو المطلوب.

(والمخالفة للحوادث) أي لم يوافق شيئاً من الحوادث في ذاتـــه وصفاته وأفعاله (واجبة لله) يستحيل عليه ضدها (و) هو (المماثلة) للحوادث (مستحيلة عليه) بأن يكون تعالى مشابهاً لهذه الموجودات الحادثة في الجسمية والعرضية ، والتحيز والتركب والتجزؤ والتولد عن الغير ، وولادة الغير وغير ذلك من صفات الحوادث ، والدليل على ذلك هذه المخلوقـات ، لأن الله تعالى لو لم يكن مخالفاً لخلقه لكان (مماثلا) أي مشابهاً (لهم) ولو كان مماثـــلاً لهم لم يوجد شيء من هذه المخلوقات ، ونفي المخلوقات محال . فقد ثبت بهذا أن الله تعالى لا يجوز عليه أن يشابه هذه المخلوقات الحادثة ، فوجب له مخالفتها واستحال عليه المماثلة لها ، قال الله تعالى : « ليس كمثله شيءٌ وهو السميع البصير » .

(والقيام بالنفس) أي بنفسه العلية ، أي بذاته المرتفعة ارتفاعاً معنوياً ، (واجب لله تعالى والإحتياج مستحيل عليه) أي يستحيل عليه تعالى ضده وهو قيامه بغيره ، بمعنى احتياجه الى مكان يقوم فيـه أو محل يحل فيه ، أو مخصص يخصصه أو موجد يوجده . (والدليل على ذلك هذه المخلوقات ، لأن الله تعالى لو لم يكن قائماً بنفسه لكان محتاجاً) الى ما ذكرنا ، (ولو كان محتاجاً لم يوجد

شيء من هذه المخلوقات)، ولك أن تقول إنه قد ثبت في دليل المخالفة للحوادث أنه تعالى ليس جوهراً ولا جسماً فلا يحتاج الى مكان يقوم فيه ، لأن الاحتياج الى المكان من خواص الجواهر والأجسام ، فثبت هناك أنــه تعالى ليس عرضاً فلا يحتاج الى محل يحل فيه ويتقوم بـه كما تحتاج الأعراض ، مثل الألوان الى ذلك . فثبت أيضاً أنــه تعالى قديم فلا يحتاج الى مخصص يخصصه ، وموجد يوجده ، فثبت وجوب قيامــه تعالى بنفسه ، (والوحدانية واجبة لله تعالى) فقد عرفت أن أوجه الوحدانية ثلاثــة : وحدانية الذات ووحدانية الصفات ووحدانية الأفعال ، وكلها واجبة لمولانا جل وعز ، وقد مر الكلام عليها .

(والتعدد مستحيل عليه) أي يستحيل عليه أن لا يكون واحداً ، بأن يكون مركباً في ذاته أو يكون له مماثل في ذاته أو صفاته أو يكون معه في الوجود مؤثر ، (والدليل على ذلك هذه المخلوقات ، لأن الله تعالى لو لم يكن واحداً لكان متعدداً، ولو كان متعدداً لم يوجد شيء من هذه المخلوقات) ولكن نفي المخلوقات محال للمشاهدة ، فما أدّى إليه وهو التعدد باطل ، وإذا بطل العدد ثبتت الوحدانية وهو المطلوب ، وإنما لزم من التعدد كأن يكون هناك إلهان عدم وجود شيء من العالم لأنهما إما أن يتفقا وإما أن يختلفا ، فإن اتفقا فلا جائز أن يوجداه معاً لئلا يلزم اجتماع مؤثرين على أثر واحد، ولا جائز أن يوجدا مرتباً بأن يوجده أحدهما ثم يوجده الآخر لئلا يلزم تحصيل الحاصل ، ولا جائز أن يوجد أحدهما البعض والآخر البعض للزوم عجزهمـــا ، لأنه لما تعلقت قدرة أحدهما بالبعض سدّ على الآخر تعلق قدرته به فلا يقدر على مخالفته وهذا عجز . وهذا يسمى برهان التوارد لما فيه من تواردهما على شيء . وإن اختلفا بأن أراد أحدهما إيجاد العالم والآخر إعدامه فلا جائز أن ينفذ مرادهما لئلا يلزم عليه اجتماع الضدين ، ولا جائز أن ينفذ مراد أحدهمـــا دون الآخر للزوم عجز من لم ينفذ مراده ، والآخر مثله لانعقاد المماثلة بينهما .

ويحكى عن ابن رشد أنه إذا نفذ مراد أحدهما دون الآخر كان الذي نفذ

مراده هو الإله دون الآخر وتم دليل الوحدانية. وهذا يسمى برهان التمانع لتمانعهما وتخالفهما ، وقد ذكر سبحانه وتعالى هذا الدليل في قوله تعالى : « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » .

ولما تكلم على الصفة النفسية وعلى الصفات السلبية شرع يتكلم على صفات المعاني فقال : (فالقدرة واجبة لله) وهي لغة القوة والاستطاعة ، وعرفاً صفة أزلية قديمةقائمة بذاته تعالى يتأتى بها إيجاد كل ممكن وانعدامه على وفق الإرادة وفي الحقيقة التأثير للذات (والعجز وما في معناه مستحيل عليه) تعالى(والدليل على ذلك هذه المخلوقات ، لأن الله تعالى لو لم يكن متصفاً بالقدرة لكان متصفاً بالعجز،ولو كان متصفاً بالعجز لم يوجد شيء من هذه المخلوقات) ونفي المخلوقات محال بالمشاهدة ، ولك أن تقول الدليل على ذلك إيجاده سبحانه لهذا العالم وما احتوى عليه من الأنواع ذات العظمة والغرابة من نحو عالم الحيوان وعالم النبات وعالم المعادن التي تشتمل على مئات الألوف من الأصناف التي تحتار في عظمتها وغرابتها العقول وتغرق في بحار عجائبها الفهوم ، ولا يصدق العقل السليم أن من أوجد هذا العالم بهذه العظمة والجلالة والغرابة يكون عاجزاً مسلوب القدرة ، فثبت بهذا أن اللهتعالى إله هذا العالم الذي أوجده من العدم بتلك العظمة يجب له القدرة ويستحيل عليه ضدها وهو العجز وهذا هو المطلوب .

(والإرادة واجبة لله تعالى) وهي لغة مطلق القصد ، وعرفاً صفة قديمة زائدة على الذات قائمة به تخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه وهو الممكنات ، وقد مر الكلام عليها، وخرج بالممكن الواجب والمستحيل فلا تتعلق بهماالإرادة وشمل الممكن الخير والشر خلافاً للمعتزلةالقائلين بأن إرادة الله لا تتعلق بالشرور والقبائح . وحكي أن القاضي عبد الجبار الهمذاني دخل على الصاحب ابن عبّاد وعنده الأستاذ أبو إسحاق الاسفراييني : فلما رأى الأستاذ قال : سبحان من تنزه عن الفحشاء ، فقال الأستاذ : سبحان من لا يجري في ملكه إلا ما يشاء ،

فقال عبد الجبار : أفيريد ربنا أن يعصى ؟ فقال الأستاذ : أفيعصى ربنا كرهاً ؟ فقال عبد الجبـــار : أرأيت إن منعني الهدى وقضى عليّ بالردى أحسن إليّ أم أساء ؟ فقال الأستاذ : إن منعك ما هو لك فقد أساء وإن منعك ما هو له فهو يختص برحمته من يشاء .

(والكراهة مستحيلة عليه) تعالى (والدليل على ذلك هذه المخلوقات لأن الله تعالى لو لم يكن متصفاً بالإرادة لكان متصفاً بالكراهة ، ولو كان متصفاً بالكراهة لم يوجد شيء من هذه المخلوقات) ونفي المخلوقات محال . ولك أن تقول : الله صانع للعالم بالإختيار ، وكل ما كان كذلك تجب له الإرادة . (والعلم واجب لله) تعالى وهو صفة أزلية متعلقة بجميع الواجبات والجائزات والمستحيلات (والجهل وما في معناه) وما في معنى الجهل الظن والشك والوهم والنسيان والنوم (مستحيل عليه) تعالى (والدليل على ذلك هذه المخلوقات لأن الله تعالى لو لم يكن متصفاً بالعلم لكان متصفاً بالجهل ، ولو كان متصفاً بالجهل وما في معناه لم يوجد شيء من هذه المخلوقات) وعدم المخلوقات محال للمشاهدة ولك أن تقول : الله فاعل فعلاً متقناً محكمـــاً بالقصد والاختيار وكل من كان كذلك يجب له العلم فالله يجب له العلم .

(والحياة واجبة لله) وهي صفة أزلية تقتضي صحة العلم أي تقتضي صحة الاتصاف به ، وكما تقتضي صحة الإتصاف بالعلم تقتضي صحة الاتصاف بغيره من الصفات الواجبة ، (والموت) وهو صفة وجودية قائمة بالميت يمكن رؤيتها تمنع اتصافه بالإدراك (مستحيل عليه) تعالى (والدليل على ذلك هذه المخلوقات ، لأن الله تعالى لو لم يكن متصفاً بالحياة لكان متصفاً بالموت ، ولو كان متصفاً بالموت لم يوجد شيء من هذه المخلوقات) ، وإن شئت قلت : والدليل على ذلك أنه لو كان ميتاً لما صح اتصافه بصفاته التي قام الدليل على وجوب اتصافه بها من نحو القدرة والإرادة والعلم ، لكن قام الدليل على وجوب اتصافه ، فمن المحال

أن يكون سبحانه وتعالى ميتاً ، وإذا استحال له الموت وجب له الحياة وهو المطلوب . (والسمع والبصر واجب لله) والسمع صفة أزلية قائمة بذاته تعالى تتعلق بالموجودات الأصوات وغيرها كالندوات ، والبصر صفة أزلية قائمة بذاته تعالى تتعلق بالموجودات الذوات وغيرهـا . (والصمم) وهو صفة وجودية تمنع من السمع ، (والعمى) صفة وجودية تمنع من الإبصار ، (مستحيلات عليه) تعالى (والدليل على ذلك هذه المخلوقات ، لأن الله تعالى لو لم يكن متصفاً بالسمع والبصر لكان متصفاً بالصمم والعمى ، ولو كان متصفاً بالصمم والعمى لم يوجد شيء من هذه المخلوقات) . وإن شئت قلت : والدليـل على ذلك أن الصمم والعمى نقص ، والنقص على الله تعالى الذي أوجد هـذا العالم مكملا وزيّن بعض أنواعه بنعمة السمع والبصر محال ، وإذا استحال عليه الصمم والعمى ، وجب له السمع والبصر وهو المطلوب ، ومن الكتاب قوله تعالى : «وهو السميع البصير» وقد ورد في الحديث : « أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم » وفي رواية : « ولا غائباً وإنما تدعون سميعاً بصيراً » .

وقد أجمع أهل الملل والأديان على أنه تعالى متكلم وسميع وبصير .

(والكلام واجب لله) وهو صفة أزلية قائمة بذاته تعالى ، ليست بحرف ولا صوت ، تدل على الواجبات والمستحيلات والجائزات ، يُفهم بها سبحانه ما يريد إفهامه لأحد عباده ، (والبكم) والمراد بالبكم عدم الكلام أصلا بوجود آفة تمنع من وجوده ، (وما معناه) كونه بالحرف والصوت (مستحيل عليه) تعالى (والدليل على ذلك هذه المخلوقات ، لأن الله تعالى لو لم يكن متصفاً بالكلام لكان متصفاً بالبكم ، وما في معناه ، ولو كان متصفاً بالبكم وما في معناه لم يوجد شيء من هذه المخلوقات) .

ولك أن تقول : والدليل على ذلك أن البكم نقص والنقص على الله تعالى

إله العالم الذي أوجده وكمل بعض أنواعه بالنطق والكلام محال ، وإذا استحال عليه سبحانه البكم وجب له الكلام وهو المطلوب ، فنعتقد أنه سبحانه وتعالى سميع بصير متكلم ، بل متصف بكل صفة كال تليق بشأن الألوهية ، ويستحيل عليه تعالى الصمم والبكم وهو الذي أبدع السمع وأنار البصر وأطلق اللسان بالكلام ، كما يستحيل عليه تعالى أن يكون ناقصاً في صفة كمالية ، فقد أوجد في مصنوعاته كل كال ، ويسوغ لنا معشر المسلمين أن نكتفي في اعتقاد ثبوت هذه الصفات الثلاث وهي السمع والبصر والكلام له تعالى على الدليل السمعي من نحو قوله تعالى : « وهو السميع البصير » وقوله : « وكلم الله موسى تكليما » .

ثم انتقل يتكلم على المعنوية ، وإنما سميت معنوية لأن الاتصاف بها فرع الإتصاف بالسبع الأولى – المعاني – فكونه تعالى قادراً لازم للصفة الأولى من صفات المعاني وهي القدرة القائمة بذاته تعالى ، وكونه عز وجل مريداً لازم للإرادة القائمة بذاته تعالى ، وهكذا إلى آخرها وقد تقدم ذلك كله .

(وكونه تعالى قادراً واجب لله تعالى وكونه عاجزاً مستحيل عليه ، والدليل على ذلك هذه المخلوقات) ، أي المشاهدة بالعيون (لأن الله تعالى لو لم يكن قادراً لكان عاجزاً ، ولو كان عاجزاً لم يوجد شيء من هذه المخلوقات) ، لكن نفي المخلوقات محال ، (وكونه تعالى مريداً واجب لله تعالى وكونه كارهاً مستحيل عليه . والدليل على ذلك هذه المخلوقات ، لأن الله تعالى لو لم يكن مريداً لكان كارهاً ، ولو كان كارهاً لم يوجد شيء من هذه المخلوقات . (وكونه عالماً واجب لله تعالى وكونه جاهلا مستحيل عليه ، والدليل على ذلك هذه المخلوقات ، لأن الله تعالى لو لم يكن عالماً لكان جاهلا ، ولو كان جاهلا لم يوجد شيء من هذه المخلوقات) ونفي المخلوقات محال .

(وكونه تعالى حياً واجب لله تعالى ، وكونه ميتاً مستحيل عليه والدليل على ذلك هذه المخلوقات لأن الله تعالى لو لم حياً لكان ميتاً ولو كان ميتاً لم يوجد

شيء من هذه المخلوقات) ونفي المخلوقات محال ، (وكونه تعالى سميعاً وكونه بصيراً واجبان لله تعالى ، وكونه أصم وكونه أعمى مستحيلان عليه ، والدليل على ذلك هذه المخلوقات لأن الله تعالى لو لم يكن سميعاً بصيراً لكان أصم وأعمى ولو كان أصم وأعمى لم يوجد شيء من هذه المخلوقات) . ونفي المخلوقات محال ومن الكتاب قوله تعالى : « إنني معكما أسمع وأرى » .

(وكونه متكلماً واجب لله تعالى وكونه أبكم مستحيل عليه . والدليل على ذلك هذه المخلوقات ، لأن الله تعالى لو لم يكن متكلماً لكان أبكم ، ولو كان أبكم لم يوجد شيء من هذه المخلوقات) ونفي المخلوقات محال . ومن الكتاب قوله تعالى : « وكلمه ربه » .

ولما فرغ من ذكر ما يجب في حقه تعالى وما يستحيل ذكر هنا القسم الثالث وهو ما يجوز في حقه تعالى فقال :

والجائز في حقه فعل كل ممكن أو تركه) أي فعل ما قضى العقل بإمكانه أي باستواء طرفيه، الوجود والعدم سواء كان خيراً أو شراً ، كان فعلا اختيارياً للعبد أم لا ، أو تركه أو ترك ذلك الفعل (فالفعل يشمل الوجهين : الإيجاد والعدم ، والترك يشمل الوجهين : ترك الإيجاد وترك الإعدام . والدليل على ذلك المشاهدة بالعيون لأننا نشاهد الممكنات وجدت وانعدمت ، ولو كانت مستحيلة لما وجدت ولو كانت واجبة لما انعدمت وهذا دليل جوازها خلافاً للمعتزلة في قولهم بوجوب بعض الممكنات عليه تعالى ، فإنهم قالوا بوجوب الصلاح والأصلح وخلافاً للبراهمة في قولهم باستحالة إرسال الرسل مع أنه من الممكنات وقد تقدم الكلام على ذلك .

(والله أعلم) . انتهى الكلام على الإيمان بالله وقد تكلم المصنف أولاً على إيمان التقليد وهو الإيمان الناشىء عن الأخذ بقول الشيخ من غير دليل ، ثم ذكر

المعرفة وهي الإيمان الناشىء عن معرفة العقائد بأدلتها الإجمـــالية لأنها كافية في العقائد . فالتقليد للعوام والمعرفة لأصحاب الأدلة، وإيمان عن عيان وهو الإيمان الناشىء عن عـــين مراقبة القلب لله بحيث لا يغيب عنه طرفة عين ، وإيمان عن حق وهو الإيمـــان الناشيء عن مشاهدة الله بالقلب ، وإيمان عن حقيقة وهو الإيمان الناشىء عن كونه لا يشهد إلا الله ، والعيان لأهل المراقبة ويسمى مقام المشاهدة وغير ذلك .

الباب الثاني

في الإيمـــان بالرسل عليهم السلام

(وأما الإيمان بالرسل) وهو جمع رسول وهو إنسان ذكر حر أوحى الله تعالى إليه بشرع وأمره بتبليغه للخلف ، وإن لم يؤمر بالتبليغ يسمى نبياً فقط. والإيمان بالرسل هو أن نؤمن بأن الله تعالى بعثهم إلى عبيده وإمائه يبلغون عنه التوحيد وأحكامه التكليفية والوضعية ومـــا يتبعها من وعد ووعيد ، مبشرين ومنذرين ، وأيدهم بالمعجزات الخارقة للعادات (عليهم الصلاه والسلام) .

ولا يحصل الإيمان بهم إلا بمعرفة ما يجب لهم وما يستحيل عليهم وما يجوز في حقهم ، ولذا قال المصنف: (فهو أيضاً ينقسم ثلاثة أقسام: واجب ومستحيل وجائز) وقد شرع في بيان ذلك فقال :

(فصل في الواجب والمستحيل والجائز)

(فالواجب في حقهم) فالوجوب هنا عدم قبول الإنفكاك بالنظر للشرع[١] (عليهم الصلاة والسلام ثلاثة) وهي (الصدق) وهو مطابقة خبرهم ولو بحسب

---

(١) وبالعقل أيضاً .

اعتقادهم ، فهم صادقون في كل مـا يبلغون عن المولى تبارك وتعالى ، ولا يكون خبرهم إلا مطابقاً لمـا في نفس الأمر ، ولا يقع منهم الكذب في شيء من الأشياء لا عمداً ولا سهواً اجماعـاً عند المحققين . (والأمانة) وهي حفظ ظواهرهم وبواطنهم من التلبس بمنهي عنه، ولو نهي كراهة، وخلاف الأولى فهم محفوظون ظاهراً من الزنا وشرب الخمر والكذب وغير ذلك من منهيات الظاهر ومحفوظون باطناً من الحسد والكبر والرياء وغير ذلك من منهيات الباطن ، وبالجملة فالأمانة هي حفظ جميع الجوارح الظاهرة والباطنة من التلبس بمنهى عنـه نهي تحريم أو كراهة ، ويسمى صاحبها أميناً للأمن من جهته من المخالفة . (والتبليغ) أي تبليغ ما أمرهم الله سبحانه بتبليغه ، ولم يتركوا شيئاً منه لا نسياناً ولا عمـداً ، عمداً: فلِما تقدم من وجوب الأمانة، وأما نسياناً: فللإجماع انتهى وزاد بعضهم الفطانة ، وهي التفطن والتيقظ لإلزام الخصوم، وإبطال دعاويهم الباطلة(وكذا المستحيل في حقهم ثلاثة)، وهي أضداد هذه الصفات الواجبة (الأولى الكذب) وهو عدم مطابقة الخبر لمـا في نفس الأمر أي يستحيل وقوع الكذب منهم . (والخيانة) وهي عدم حفظ جوارحهم الظاهرة والباطنة من الوقوع في المحرم والمكروه . (والكتمان) وهو عدم الوفاء بمـا أمروا بتبليغه للخلف . وأيضاً يستحيل في حقهم الغفلة وعدم الفطنة،وهما ضد الفطانة ، وقد تقدمت في الشرح ولم يذكرها المصنف .

وقد سئل الشيخ الإمام أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الفاسي رحمـه الله عن مسألة تظهر من جوابـه ، ولفظ الجواب : لا يجوز الصمم على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وفاقاً لأن السمع طريق الوحي وباب له ، فلا يقع بهم فإنه لا معنى للنبوة إلا الوحي فكيف تعطل حاسته ويسد بابه هذا لا يعقل ، وكذا البكم لا يجوز عليهم لأنه مانع من التبليغ ، وآفة بالغة ونقيصة ظاهرة يتنزهون عن مثلها ، وكذا في حقهم العمى على الصحيح. قيل ولم يعم نبي قط ، ومايذكر عن شعيب لم يثبت ، وأما يعقوب فحصل له ضعف في نور عينيه ولم تكونا عميتا

وأزيل ذلك الضعف بعد ذلك فكان عارضاً . هذا هو الحق الراجح . وقيل غير ذلك . مع الاتفاق على عدم استمرار ذلك العارض .

وكذا يمتنع في حقهم الجنون قليله وكثيره ، لأنه نقص بل يجب في حقهم كمال العقل والذكاء والفطنة وقوة الرأي والسلامة من كل ما ينفر مما يوجب ثلماً في النسب والخلق والخُلق كالفظاظة والعيوب المنفرة ، كالبرص والجذام والأدرة لأنهم في غاية الكمال في خلقهم وخلقهم ، ومن نسب أحداً منهم إلى نقص فقد آذاه فيُخشى على فاعله الكفر ، وقد قال تعالى : « ولا تكونوا كالذين آذوا موسى » يعني في وصفهم له بالأدرة فبرأه الله من ذلك . وأما أيوب عليه السلام فروي أنه أول من أصابه الجدري ، ولم يكن مرضه جذاماً لتنزه الأنبياء عن ذلك كما تقرر .

وكذا تجب سلامة الأنبياء من كل ما يخل بالمروءة كالحجامة ، وكذا كل ما يخل بحكمة البعثة من البكم والفهاهة والخيانة والخور والبخل والضعف والمهانة ، لأنهم سيوف الله الماضية وحجته البالغة والسلام ، وكتبه عبد الرحمن بن محمد الفاسي كان الله ولياً وبه حفياً انتهى .

(والجائز في حقهم) أي الرسل (واحد) ومعنى الجائز في حقهم هو ما يجوز وجوده لهم وعدمه وهو (الأعراض البشرية) نسبة للبشر كالأكل والنوم لكن تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم ، وجماع النساء في الحلال ، والأمراض التي لا تخل بمنصب الرسالة ، ولا تكون منفرة للخلق عن الإجتماع بهم والأخذ عنهم (فالجملة سبعة) ثلاثة واجبة في حقهم عليهم الصلاة والسلام ، وثلاثة مستحيلة وواحد جائز ، (والجملتان ثمانية وأربعون عقيدة) أي إذا أضفنا الواجب لله وهو عشرون صفة والمستحيل كذلك والجائز واحد فتبلغ الجملتان ثمان وأربعون عقيدة (فإذا عرفت هذا) الإشارة راجعة لما تقدم .

ثم شرع يذكر ما يجب لهم مع ذكر الدليل فقال :

(فصل فيما يجب لهم تفصيلاً وما يستحيل في حقهم)

(فالصدق واجب للرسل والكذب مستحيل عليهم) أي الرسل (والدليل على ذلك المعجزة) وهي لغة مأخوذة من العجز ، وهو ضد القدرة ، وعرفاً أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي الذي هو دعوى الرسالة أو النبوة مع عدم المعارضة وقال السعد : هي أمر يظهر بخلاف العادة لمدعي النبوة عند تحدي المنكرين على وجه يعجز المنكرين عن الإتيان بمثله كالقرآن ، ونبع الماء من بين أصابعه ﷺ ، وكانشقاق القمر ، وكعدم إحراق النار لسيدنا إبراهيم عليه السلام ، الى غير ذلك مما لا يحصى كثرة (لأن الرسل عليهم الصلاة والسلام لو لم يكونوا صادقين لكانوا كاذبين ، ولو كانوا كاذبين لم يخلق الله لهم المعجزة) المتقدم ذكرها (النازلة منزلة قوله صدق عبدي في كل ما يبلغ عني) أي لأنهم لو كذبوا في ذلك للزم الكذب في خبره تعالى لتصديقه لهم بالمعجزات ، وهي خوارق العادات التي يجريها الله تعالى على أيديهم تأييداً لهم لأنها نازلة منزلة قوله سبحانه صدق عبدي في كل ما يبلغ عني ، وتصديق الكاذب كذب وهو محال عليه تعالى ، فيكون كذبهم فيما يبلغون عنه تعالى محالاً ، وإذا استحال كذبهم في ذلك وجب صدقهم وهو المطلوب.

وأما وجوب صدقهم واستحالة الكذب عليهم في غير ما يبلغونه عن الله تعالى ، فالدليل عليه أنهم لو كذبوا لكان كذبهم خيانة تخالف وجوب الامانة والعصمة لهم ، وسيأتي الدليل على وجوب الامانة لهم واستحالة الخيانة عليهم صلى الله عليهم وسلم.

(والامانة) واجبة في حقهم والخيانة مستحيلة عليهم ، والدليل على ذلك الامر باتباعهم ، لان الرسل عليهم السلام لو لم يكونوا أُمناء لكانوا خائنين ولو كانوا خائنين بفعل معصية لكنا مأمورين به ، لانه تعالى أمرنا باتباعهم في أقوالهم

وأفعالهم وأحوالهم من غير تفصيل ، والله سبحانه وتعالى لا يأمر بالمعصية، وقد أوجب الله الاقتداء بهم في أقوالهم وأفعالهم .

(والتبليغ واجب في حقهم والكتمان مستحيل عليهم) والدليل على ذلك الامر باتباعهم أيضاً لان الرسل عليهم الصلاة والسلام لو لم يكونوا مبلغين لكانوا كاتمين ولو كانوا كاتمين لما أمرنا الله باتباعهم ، أي لو كتموا شيئاً مما أمروا بتبليغه للخلف لكنا مأمورين بكتمان العلم ، لان الله تعالى أمرنا بالاقتداء بهم في أقوالهم وأفعالهم ، وكوننا مأمورين بكتمان العلم باطل ، فوجب لهم تبليغ ما أمروا بتبليغه واستحال عليهم كتمان شيء من ذلك وهو المطلوب .

(فصل في الجائز في حقهم)

(والجائز في حقهم الاعراض البشرية التي لا تؤدي إلى نقص في مراتبهم العلية كالمرض) وهو حالة خارجة عن الطبع (الخفيف) ضد الثقيل (ونحوه) كالجوع والنوم ، ولكن لا يستولي على شيء من قلوبهم ، ولهذا تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم كما مر. (وكالاكل) أي من غير شره ، والشرب والشراء والبيع والسفر والقتل والجراح والتزوج ودخول الاسواق) وكل ما لا يخل بشيء من مقاماتهم ولا يقدح في شيء من مراتبهم . فالمرض مثلاً وإن كان يقع بهم إلا أنه خفيف . ومع ذلك فحدّه منهم البدن الظاهر لا القلوب لانها محفوظة فلا يحل المرض بقلامة ظفر منها ، والدليل على ذلك المشاهدة لان من حضرهم شاهد الاعراض البشرية وقعت بهم ومن لم يحضرهم بلغه الخبر المتواتر على ذلك .

وأما الامراض التي تخل أو تنفر عنهم الخلق مثل الجنون والإغماء الطويل والجزام والبرص والعمى فهي ممتنعة عليهم ، ولذا قال المصنف : (والأعراض البشرية المستحيلة في حقهم كالجزام والبرص والجنون) وهذه الأمراض معروفة (والعنة) وهي حالة لا تقدر معها على إتيان النساء لصغر ذكره أو لا يشتهي

النساء ، (والإعتراض) وهو عدم قيام الذكر ، (وسواد الجسم) والسواد لون معروف ، (والصمم) يقال صمّت الأذن بطل سمعهـــا ، (والعمى) وهو فقد البصر ، (والبكم) يقال بكم أي خرس ، وقيل الأخرس الذي خلق ولا نطق له والأبكم الذي له نطق ولا يعقل الجواب وكلاهما مستحيل في حقهم عليهم الصلاة والسلام . (والشلل) يقال شلت اليد إذا فسدت عروقها وبطلت حركتها . (والعرج) يقال عرج في مشيه عرجاً من باب تعب إذا كان من علة لازمة فهو أعرج (والعور) يقال عورت العين عوراً نقصت أو غـارت وكلاهما مستحيل عليهم ، عليهم الصلاة والسلام . (واللكن) وهو العن وهو ثقل في اللسان ، (والشتر) وهو انقلاب في جفن العين الأسفل ، (والشرم) وهو شق الأنف ، ويقال قطع الأرنبة ، (والثرم) الأثرم هو الذي انكسرت ثنيته فهو أثرم ، وكل صفة دنية كالحجامة أي الإحتراف بها مستحيلة في حقهم لأنها نقص وأنهم منزهون عنه أي النقص .

واعلم أن جميع ما ذكر في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام من الوجوب والإستحالة والجواز يلزمنـــا أن نعتقده في حق الأنبياء ، وهم الذين أوحى الله إليهم بشرع ولم يأمرهم بتبليغه للخلق ، لأنه ربما ترجع إليهم الناس في الاستفتاء عن أحكام شرائع الرسل قبلهم ، ولأنهم مـأمورون أن يبلغوا الخلق أنهم أنبياء ليحترموهم ، ولأنهم يعملون بما أوحي إليهم ، وبالجملة فمـا وجب للرسل وجب للأنبياء إلا التبليغ فإنه خاص بالرسل ، وحينئذ فالصدق والأمانة واجبان لكل من الأنبياء والرسل ، وأما تبليغ الأحكام المتعبد بها فإنه خاص بالرسل إذ النبي لا يبلغ شيئاً من الشرائع ، نعم يجب عليه أن يخبر بأنه نبي ليحترم ، ويبلغ علم الأصول ، انتهى الكلام عن الإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام .

الباب الثالث

في الإيمان بالملائكة عليهم السلام

والإيمان بالملائكة على قسمين جملة وتفصيلا ، فالجملة أن نعتقد أن جميع ما في علم الله من الملائكة حق ثابت وقد شرع المصنف في التفصيل فقال :

(فصل في صفة الملائكة)

أي يجب على كل مكلف شرعاً الإيمان بالملائكة عليهم الصلاة والسلام وهو أن يعتقد اعتقاداً جازماً بوجودهم ، وأنهم عباد الله المؤمنون به المكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون وقد وردت النصوص الشرعية بجميع ذلك . وحقيقتهم عند أكثر المسلمين (أنهم أجسام) لطيفة نورانية مبرأة من الكدورات الجسمانية القادرة بقدرة الله وإرادته (لطاف روحانية خلقوا من نور ، لا يأكلون ولا يشربون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يلد بعضهم بعضاً ولا يوصفون بالذكورة ولا بالأنوثة، ووصفهم بالأنوثة كفر ووصفهم بالذكورة فسق (مسكنهم السماوات العلى) وينزلون إلى الأرض بأمر ربهم (ولا يقع منهم ذنب) صغيراً كان أو كبيراً في حالة من الحالات لقوله تعالى : « لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » ولا يغفلون عن ذكر الله في ساعة من الساعات لقوله تعالى: « يسبحون الليل والنهار

لا يفترون » (معصومون من جميع المحرمات والمكروهات بأسرهم) حتى هاروت وماروت ولهما قصة في القرآن. وقد قال القرطبي من اعتقد أن هاروت وماروت الملكين يعذبان بأرض الهند وأنه صدر منهما ذنب فهو كافر . قيل: لم يصح فيهما – أي القصص – التي رويت فيهم خبر .

ولا يعلم عددهم إلا الله لقوله تعالى : « وما يعلم جنود ربك إلا هو » وهذا على الجملة . ونعتقد أنهم أجناس وأشكال قال تعالى : « الله يصطفي من الملائكة رسلاً أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع ، يزيد في الخلق ما يشاء ... الآية » لا يحصرها العد ولا يحيط بها الحصر فهم خلق عظيم شفاف ، يجب علينا الإيمان بهم جملة وتفصيلاً . وقد ورد في النصوص الشرعية ما يفيد أنهم أقسام فمنهم حملة العرش ومنهم الحافّون حول العرش ومنهم أكابر الملائكة كجبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل، ومنهم ملائكة الجنة ومنهم ملائكة النار ومنهم الموكلون ببني آدم ، ومنهم كتبة الأعمال ومنهم الموكلون بأحوال هذا العالم بالتدبير ، ومنهم رسل الله إلى أنبيائه بالوحي ، وإلى ذلك أشار الشيخ بقوله :

(فصل في أسماء الملائكة المعروفين)

(وأما على التفصيل فنعرف منهم عشرة : جبريل) ومعنى جبريل عبدالله، وكذلك (وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل ورقيباً وعتيداً ومنكراً ونكيراً ومالكاً ورضوان) وهم أربعة أقسام : التصريفيون والحافظون والفاتنون والخازنون .

فالتصريفيون أربعة: جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل. والحافظون اثنان : رقيب وعتيد . والفاتنون اثنان : منكر ونكير . والخازنون اثنان: مالك ورضوان عليهم السلام) .

(فصل في وظائف الملائكة)

(فجبريل موكل بالوحي) أي أمين على الوحي ، أي الخبر الذي يأتي من عند الله للرسل عليهم الصلاة والسلام والأنبياء . (وميــــكائيل موكل بالأمطار والبحار والأرزاق وتصوير الأجنة في الأرحام) ولا تأثير له في ذلك (وإسرافيل موكل باللوح المحفوظ والنفخ في الصور) والصور قرن من نور فيه ثقوب على عدد أرواح من يموت فينفخ فيه نفختين . ثم شرع في تفسير النفختين فقال :

(فصل في النفخ في الصور)

(فالنفخة الأولى تفنى فيها جميع الخلائق) وتسمى نفخة الصعق (إلا ما شاء الله وهو من المستثنيات السبع) وهي : (العرش) وهو جسم مخلوق عظيم فوق السماوات السبع ، والسماوات والأرضون كحلقة في فلاة ، (والكرسي) وهو مخلوق عظيم تحت العرش ، ولا يعلم حقيقته إلا الله . (واللوح المحفوظ)وهو جسم نوراني كتب فيه القلم بإذن الله ما كان وما يكون . (والقلم) هو الكاتب في اللوح وهو جسم عظيم نوراني وفوق السماء السابعة . (والجنة والنار والأرواح)

وزاد بعضهم عجب الذنب وأجساد الأنبياء والملائكة الأربعـة الرؤساء والحور العين وموسى عليه الصلاة والسلام لأنه صعق في الدنيا مرة فجوزي بهـا فجميع الأنبياء بعد الموت تعود إليهم أرواحهم ثم يغشى عليهم عنـد النفخة الأولى ، وبعضهم عدّ من المستثنيات الثانية ، ونظمها الجلال السيوطي بقوله :

ثمانية حـكم البقاء يعمها   من الخلف والباقون في حيز العدم
هي العرش والكرسي نار وجنة   وعجب وأرواح كذا اللوح والقلم

(والنفخة الثانية) ثم ينفخ إسرافيل في الصور النفخة الثانية ، وتسمى نفخة البعث . فيجمع الله الأرواح في الصور عند النفخة الثانية وفيه ثقوب بعددها . (تبعث فيها جميع الخلائق) فتخرج منه الأرواح إلى أجسادها فلا تخطىء روح جسدها ، وما بين النفختين أربعون سنة أي عاماً .

(وعزرائيل) ومعناه عبد الجبّار ، وهو ملك هائل المنظر مفزع جداً رأسه في السماء العليا ورجلاه في تخوم الأرض السفلى أي منتهاها ، ووجهه مقابل للوح المحفوظ ، والخلق بين عينيه ، وله أعوان بعدد من يموت يترفق بالمؤمن ويأتيه في صورة حسنة دون غيره ، موكل بقبض أرواح الخلائق ، أي كل ما له روح ولو قملة أو بعوضه أو برغوثة ، ولا تأثير له في ذلك بل المؤثر هو الله تعالى وفي حديث طويل رواه الطبراني وغيره عن ملك الموت: (والله لو أردت قبض روح بعوضة ما قدرت على ذلك حتى يكون الله هو الذي يأذن لي بقبضها) .

(ورقيب وعتيد) وهما ملكان (موكلان بكتب الحسنات والسيئات) وهذه الكتابة يكفر منكرها بتكذيبه القرآن قال تعالى : « كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون » . وقال أيضاً : « وما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد » لكنها ليست لحاجة دعت إليها لإحاطة علم الله تعالى بكل شيء ، وإنما فائدتها أن العبد إذا علم بها استحى وترك المعاصي ، والكتب حقيقي بآلة وقرطاس ومداد يعلمها الله تعالى حملاً للنصوص على ظاهرها مع عدم الاستحالة في ذلك ، والله أعلم . (قاعدان على الكتفين أو على العنقة أو على الناجذين) وهما أواخر الأضراس ، فإن كان العبد قاعداً كان أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه . والله أعلم بالحقيقة . واعلم أن الراجح أنه لا يعلم محلهم ولا ما يكتبون إلا الله تعالى ، لأن الاحاديث الواردة بتفسير ذلك ليست قوية .

قال بعض علماء الكلام : (وإن مات قعدا على قبره يستغفران له إلى يوم القيامة إن كان مؤمناً ويلعنانه إن كان كافراً أو منافقاً) والعياذ بالله تعالى.

(تنبيه) هو ما تعرض له المذكور قبله على سبيل الإجمال وأرادتفصيله فقال : (لا يفهم من كلامنا في رقيب وعتيد إثنان على جميع الناس كما في منكر ونكير بل لكل واحد ملكان كل منهما يسمى رقيباً وعتيداً . لا يسمى أحدهما رقيباً والآخر عتيداً كما هو المتبادر) بل أحدهما كاتب الحسنات والآخر كاتب السيئات .

(فصل في منكر ونكير)

(منكر) بفتح الكاف (ونكير) بكسرها . والراجح أنهما لكل ميت وإن تعددت الأموات في وقت فيتخيل كل ميت أنه المسؤول ويحجب الله سمعه عن غيره. ويرى الملكين ليسا في قبر غيره (هما ملكان موكلان بسؤال الميت) المؤمن والمنافق والكافر خلافاً لابن عبد البر حيث قال في تمهيده : الكافر لا يسأل وإنما يسأل المؤمن والمنافق لانتسابه للإسلام في الظاهر انتهى .

والجمهور على خلافه (وإنما سمي الملكان بذلك لأنهما يأتيان الميت بصورة منكرة ، وأحوال المسؤولين مختلفة ، فمنهم من يسأله الملكان جميعاً ومنهم من يسأله أحدهما تخفيفاً عليه (في قبره) خرج مخرج الغالب لا مفهوم له ، لأن كل ميت يُسأل ، قُبر أو لم يُقبر تفرقت أجزاؤه أو لا خص من ذلك جماعة منهم الشهداء ومنهم الأنبياء والمرابطون والميت بالطاعون أو في زمنه ولو بغير طعن صابراً محتسباً ، والميت ليلة الجمعة ويدخل بزوال شمس الخميس ويومها ، وقارىء سورة تبارك الملك كل ليلة وقارىء سورة الإخلاص في زمن موته ، قاله الشيخ علي الصعيدي العدوي في حاشيته على شرح ابن الحسن رحمه الله (ويعيد الله له الروح) بقدر ما يفهم الخطاب ويرد الجواب (ويقولان له من ربك ومن نبيك وما دينك وما قبلتك وما إخوانك وما إمامك وما منهاجك ، فالمؤمن يقول لهما الله ربي) أي خالقي وحده لا شريك له (ومحمد ﷺ نبيي) أي رسولي

(والإسلام ديني والكعبة قبلتي والمؤمنون إخواني والقرآن إمامي) أي بكسر ألفه (والسنة منهاجي) أي طريقتي .

(والكافر والمنافق يقول لهما) أي للملكين (أنتما ربي) ويشير للملكين (هاه هاه لا أدري) هاه هاه بسكون الهاء ، فيهما كلمة يقولهـــا المتحير الذي لا يدري ما يقول ، والحاصل أن سؤال القبر يدور على ثلاثة أمور : السؤال عن الله تعالى والسؤال عن الدين والسؤال عن النبي ﷺ ، فمن وفقه الله تعالى للجواب عن ذلك فهو المثبت المؤمن ، المعني بقوله تعالى : « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة » فينادي منادٍ من السماء أن قد صدق عبدي فافرشوه في الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له باباً من الجنـة ، قال فيأتيه من روحها وطيبها ويفتح له فيه مد البصر ، وإن الكافر أو المنـــافق إذا وضع في قبره وعادت روحه في جسده يأتيه ملكان فيجلسانـــه فيقولان له من ربك ؟ فيقول لهما هاه هاه لا أدري الحديث .

هذا الحـديث بطوله رواه أبو داود والنسائي في صحيحها بسند حسن ، وبالجملة فسؤال القبر وعذابه ثابت عنـد أهل السنة ، اللهم وفقنا لأحسن جواب يا رحمن يا كريم يا حنان يا منان يا ذا الجلال والإكرام .

(فصل في خزنة الجنة والنار)

(ومالك موكل بالنيران السبعة) أي هو خازن النار ، أعاذنا الله منها ، خلق الله له أصابع بعدد أهل النار فما من أحد يعذب إلا ويعذبه بإصبع فوالله لو وضع إصبعاً على السماء لأذابهـا كما هو منصوص (ومعه زبانية وهم تسعة عشر نفراً ، وكل نفر لا يعلم عددهم إلا الله تعالى) « ومـــا يعلم جنود ربك إلا هو » صدق الله العظيم .

وأبواب النيران سبعة (جهنم) إسم مشتق من الجهامة ، وهي كراهـــة

المنظر ، غـــير منصرف للعالمية والعجمة وهي لعصاة المؤمنين ، وإن كانوا بعد إحساس العذاب لحظة أرادها الله ثم يصير حالهم كالنائم لا يحس بها ، فكل لحظة من عذابها وبال شديد ، نعوذ بالله منها ، ذكر ذلك بعض علماء الكلام (ولظى) وهي لليهود (والحطمة) وهي للنصارى (وسقر) وهي لعبدة الأوثان(والسعير) وهي عذاب للصابئين (والجحيم) وهي لعبدة الأصنام أيضاً (والهاوية) وهي للمنافقين ، أعاذنا الله من الجميع ، وقد نظمها بعضهم فقال :

جهنم للعاصي لظى ليهودهـــا ... وحطمة دار النصارى أولى القمم

سعير عـذاب الصابئين ودارهم ... مجوس لها سقر جحيم لذي صمم

وهـاوية دار النفـــاق وقيتها ... فاسأل رب العرش أمناً من النقم

حفظنا الله من الجميع بحـــق النبي الشفيع ، (ورضوان) موكل بالجنان السبع وهو سيد خزنة الجنة وهو الذي يفتح لسيد الخلائق عليـه أفضل الصلاة والسلام أولاً بدليل قوله عليه الصلاة والسلام: « آتي باب الجنة فاستفتح فيقول الخازن من بالباب ؟ فأقول محمد ، فيقول ربـــك أمرني لا أفتح لأحد قبلك ولا أقوم لأحد بعدك . اهـ من حاشية العقباوي » . (و) الجنان السبعة هي : (جنة الفردوس) وهي أفضل الجنان (وجنة المأوى ، وجنة الخـــلد ، وجنة النعيم ، وجنة عدن ، ودار السلام ، ودار الجلال) على ما رواه ابن عباس وهي موجودة الآن نرجو الله أن يدخلنا إياها وجميع المسلمين بدون سابق عذاب .

وقال محمد المصري وهناك جنة ثامنة وهي (جنة الصائمين) أي مختصة بهم ولا بد من معرفة ملك يسمى (رومان) وهو ملك يأتي الميت عند الانصراف من المدفن ويقول له : اكتب ما كنت تعمل في دار الدنيا ، فيقول العبد ليس دواة ولا قرطاس ولا قلم . فيقول الملك : هيهات هيهات قلمك اصبعك ومدادك ريقك والقرطاس من كفنك ، فيقطع له من كفنه قطعة فيكتب فيها جميـــع

ما صدر منه في دار الدنيا سواء كان كاتباً في دار الدنيـا أم لا ، ثم يطويها الملك ويعلقها له في عنقه .

قال الشيخ ابراهيم البيجوري : وما قيل من أنه يجيء قبلها ملك يقال له رومان فحديثه موضوع ، وقيل فيه لين ، فذلك قوله تعالى : « وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه » ومعنى طائره عمله الذي قددناه عليه من خير وشر في عنقه الذي هو محل التزين بالقلادة ونحوهـا ومحل الشين بالغل ونحوه ، فإن كان عمله خيراً كان كالقلادة والحلي في العنق، وهذا مما يزينه . وإن كان عمله شراً كان كالغل في عنقه وهو مما يشينه . الى آخر الآية انتهى الكلام على الإيمان بالملائكة ثم شرع في بيان الكلام على الإيمان بالكتب السماوية .

الباب الرابع

في الإيمان بالكتب السماوية

(والإيمان بالكتب السماوية على قسمين جملة وتفصيلاً ، فالجملة أن نعتقد أن كل ما في علم الله من الكتب) أي السماوية (فهو حق ثابت لا شك فيه) أي في علم الله ورسله وملائكته والمؤمنين من عباده (وإن جميع ما في هذه الكتب من القصص) يقال قصصت الخبر قصاً من باب قتل حدثت به على وجهه (والاخبار) جمع خبر وهو إسم ما ينقل ويتحدث به (والوعد) وهو الإخبار بالخير (والوعيد) وهو الاخبار بالشر (والأوامر جمع والمفرد أمر وهو الطلب وجمعة أوامر (والنواهي) جمع نهي وهو ما حرم الله (حق ثابت لا شك فيه ، وإن جميع ما في هذه الكتب دال على كلام الله القديم القائم بذاته العلية ، هذا على الجملة ، وأما على التفصيل فنعرف منها أربعة) أي كتب ،وقد شرع المصنف في تفصيلها فقال :

(فصل في الكتب المنزلة على الوسل)

وهي (التوراة) كتاب من كتب الله تعالى أنزله على موسى عليه السلام لبيان الأحكام الشرعية والعقائد الصحيحة المرضية وبشر فيه بظهور نبي من بني إسماعيل عليه السلام ، وهو نبينا عليه الصلاة والسلام ، وفيه إشارة بأنه يأتي

بشرع يهدي الى دار السلام ، وقد لحقه الآن التحريف والتبديل ، والدليل على ذلك أنه ليس فيه ذكر الجنة وحال البعث والحشر والجزاء والنار واليوم الآخر مع أن ذلك من أهم مـــا يذكر في الكتب الإلهية . ذكر ذلك من اطلع عليه. (والإنجيل) كتاب من كتب الله أنزله على المسيح ابن مريم عليـــه السلام لبيان الحقائق ودعوة الخلق لتوحيد الخالق . ونسخ بعض الأحكام الفرعية في التوراة والتبشير أيضاً بظهور خاتم الأنبياء . والموجود منهـا أربعة أناجيل ألفها أربعة بعضهم لم ير المسيح عيسى ابن مريم أصلاً وهم : متى ومرقص ولوقا ويوحنا . وكل منهم مناقض للآخر . (والزبور) أنزل على داود عليـــه السلام أدعية وأذكار وحكم ومواعظ ، وليس فيها أحكام شرعية . (والفرقان) أي القرآن والفرقان مصدر فرق بين الشيئين إذا فصل بينهما،وسمي به القرآن لفصله بين الحق والباطل وقد نسب المصنف كل كتاب لصاحبه فقال :

(فالتوراة على موسى) عليه السلام وهو ابن عمران بن يصهر بن قـاهت بن لاوى ابن يعقوب لا خلاف في نسبه وهو سرياني . قال الشلبي : عاش مـــائة وعشرين سنة . (والإنجيل) على عيسى عليه السلام وهو ابن مريم بنت عمران خلقه الله بلا أب وكان مدة حمـله ساعة وقيل ثلاث ساعات وربع . وله ثلاث وثلاثون سنة . (والزبور على داود) عليه السلام ، وهو ابن إيشا بكسر الهمزة وسكون التحتية بالشين المعجمة . بن عود بوزن . وفي الترمذي أنـه كان أعبد الناس ، وقال : وكان أحمر الوجه سبط الشعر أبيض الجسم طويل اللحية فيهـا جعودة حسن الصوت والخلق ، وجمع له النبوة والملك . قـــال النووي : قال أهل التاريخ عاش مائة سنة مـدة ملكه منها أربعون سنة ، وكان له إثنا عشر إبناً . (والفرقان) أي القرآن فهو المعجزة البـــاقية الى انقضاء الدنيا بخلاف المعجزات فإن كلا منها انقضى لحينه . والقرآن الشريف أشرف الكتب المنزلة وآخرها وناسخ لجميع ما قبله من الأحكام . ولا يمكنه تحريف أو تبديل لحفظ

الله له قال تعالى : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) . واعلم أن كلام الله يطلق على معنيين : المعنى الأول هو الصفة القديمة القائمة بذاته تعالى التي ليست بحرف ولا صوت ؛ والمعنى الثاني هو الكلام اللفظي المنزل على الرسل ومعنى أنه كلام الله تعالى أنه ليس بمجرد الوحي وليس لأحد في أصل تركيبه كسب وهو يدل على بعض ما تدل عليه صفة الكلام القديمة لأنها تدل على جميع الواجبات والمستحيلات والجائزات وقد أنزل الله القرآن المسمى بالفرقان (لسيدنا محمد ﷺ) وعلى سائر النبيين وعلى آلهم وصحبهم أجمعين .

(و) يجب علينا أن نعتقد (أن سيدنا محمد أفضلهم) أي الرسل وأعظمهم وأكملهم في جميع الأوصاف الكمالية والظاهرية والباطنية ورسالته ﷺ عامة . قال تعالى مخاطباً رسوله : (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون) . وأمره الله أن يعلن هذه الحقيقة للناس بقوله تعالى : (يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو) وهذه الآيات القرآنية صريحة في أن الله تعالى أرسل سيدنا محمد ﷺ إلى كافة الناس في جميع بقاع الأرض لا فرق بين عربي وعجمي ولا أبيض ولا أسود فمن كذب بذلك أو شك فيه فهو كافر ، وتزيد رسالة سيدنا محمد على عمومها أنها خاتمة للرسالات وخالدة ولذا قال المصنف (وخاتمهم) أي فليس بعده لا نبي ولا رسول يبعث والدليل على ذلك قوله تعالى : (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين) وقد بين ﷺ في ختمه لرسالات الرسل في الحديث الذي رواه البخاري وهو : (مثلي ومثل الأنبياء السابقين كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة في زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به ويعجبون ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة فأنا تلك اللبنة وأنا خاتم النبيين) .

قال الشيخ أبو الحسن شارح الرسالة ولما كانت رسالة نبينا محمد ﷺ مانعة من ظهور نبوة ورسالة بعده شبهت بالختم المانع من ظهور ما ختم عليه فكان خاتمهم

أي آخرهم بجسده في الدنيا فمن ادعى النبوة بعد رسالته ﷺ أو صدق مدعيها فهو كافر بالله العظيم .

وانه من الإنس لا من الجن وانه من العرب لا من العجم وانه هاشمي من بني هاشم (وأن أباه عبد الله بن عبد المطلب) وقد تقدم نسبه اليه ﷺ (وأمه آمنة بنت وهب) بن عبد مناف بن زهرة بن حكيم المذكور في نسب والده ﷺ

وصفه ﷺ

كان رسول الله ﷺ ربعة من الرجال إلى الطول أقرب أزهر اللون عظيم الرأس حسن الشعر واسع الجبين أنجل العينين أشكلهما أهدب الأشفار أقنى العرنين سهل الخد منفرج الأسنان كث اللحية مدور الوجه يتلألأ كالقمر ليلة البدر عريض الصدر عظيم المنكبين أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر طويل الزندين واسع الكف ممتد الأصابع عظيمها بطنه وصدره سواء ضخم الكراديس مسيح القدمين معتدل الخلق ﷺ .

فصل في مولد الرسول ﷺ

(وإن مولده) ﷺ (مكة المشرفة) وسميت مكة بالميم لقلة مائها من قول العرب مك الفصيل ضرع أمه وأمتكه إذا امتص كل ما فيه من اللبن وتسمى بكة لأنها تبك أعناق الجبابرة أي تدقها فلم يرمها أحد بسوء إلا وقصمه الله وتسمى أم رحم لأن الرحمة تنزل فيها ولقد دعا لها إبراهيم وقال : «ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » .

ولد رسول الله ﷺ عام الفيل يوم الاثنين لثمان خلون من ربيع الأول وقيل

ليلة الثاني عشر على أشهر الأقوال الذي يوافق عشرين من شهر أبريل من سنة خمسماية وإحدى وسبعين من ميلاد المسيح عليه السلام وهو العام الذي أغار فيه ملك الحبشة على مكة بجيش تتقدمه الفيلة قاصداً هدم الكعبة المشرفة (وهاجر منها) أي من مكة (إلى المدينة) المنورة أي فلما آتت له ثلاث وخمسون سنة هاجر من مكة إلى المدينة هو وأبو بكر وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر ودليلهم عبد الله بن اريقط الليثي وكانت هجرته يوم الاثنين لثمان خلون من ربيع الأول وفيها ابتنى بعائشة رضي الله عنها فلما أتت لهجرته ثمانية أشهر آخى بين المهاجرين والأنصار فلما أتت لهجرته تسعة أشهر وعشرة أيام دخل بعائشة فلما أتت لهجرته سنة وشهر واثنان وعشرون يوماً زوّج علياً فاطمة رضي الله عنها . (ودفن بها) أي بالمدينة (ﷺ) وعلى آله وصحبه وسلم (وهو صاحب الهجرة النبوية)التي تقدم ذكرها (والشفاعة العظمى) وهي شفاعته لجميع الخلق أي المؤمنين [1] في الموقف لتعجيل الحساب وهي الإراحة من الموقف عامة لجميع الخلق حين يسأل الناس الرسل فيبدون عذراً حتى يأتوا سيد الخلق ﷺ فيقول أنا لها ويسجد ويشفع فيُشفع .

قال الفاكهاني شارح الرسالة أجمع السلف والخلف من أهل السنة والحق على ثبوت الشفاعة لنبينا ﷺ ولسائر الرسل والملائكة والمؤمنين مطلقاً وأجلها وأعظمها شفاعة نبينا محمد ﷺ لأنها أعمها وأتمها .

(والاسراء) أي فلما أتت له إحدى وخمسون سنة وتسعة أشهر أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وذلك ثابت بالكتاب والسنة وإجماع المسلمين فمن أنكره كفر لأنه من الواجبات الاصول . قال تعالى : (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله

---

(١) وغيرهم .

لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير) . وعن أنس رضي الله عنه (أن النبي ﷺ أتي بالبراق ليلة أسرى به ملجماً مسرجاً فاستصعب عليه فقال له جبريل : أبمحمد تفعل هذا فما ركبك أحد أكرم على الله منه فارفض عرقاً) وعن بريدة رضي الله عنه عن النبي ﷺ (قال لما انتهينا إلى بيت المقدس قال جبريل باصبعه فخرق بها الحجر وشد بها البراق) رواهما الترمذي بسندين حسنين .

(والمعراج) بجسده الشريف يقظة على الأصح كما أجمع عليه اهل القرن الثاني ومن بعدهم من الأمة وهذا على الأصح فنصدق بأنه ﷺ عرج بـه إلى السماوات السبع إلى سدرة المنتهى إلى حيث شاء بعد الاسراء به على البراق إلى بيت المقدس فمن أنكره لا يكفر لكن يفسق ورأى ربه وليس الله في جهة ولا مكان فخلق في نبيه فهما وقوة علم أن الذي رآه هو الرب بلا كيف ولا انحصار كما ثبت بالأحاديث المشهورة آمنا وسلمنا ولا مجال للعقل في ذلك. انتهى الكلام على الكتب السماوية ثم انتقل يتكلم على الركن الخامس من أركان الإيمان الستة وهي الإيمان باليوم الآخر فقال :

الباب الخامس
في الايمان باليوم الآخر

(والايمان باليوم الآخر) وهو يوم القيامة وما يشتمل عليه من البعث (واجب) أي التصديق به واجب وجوب الاصول فمن كذب به فهو كافر . قال تعالى : (واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً) ولا يعلم وقت مجيئه إلا الله . ولكن له شرائط منها : كثرة الجهل وقلة العلم وإمارة الصبيان و كثرة الربا و كثرة الزنا والفتن بين المسلمين في البلدان قيل وهو أول أشراط الساعة ومنها تأمين الخائن وخيانة الأمين والتطاول في البنيان وزخرفة المساجد (ويسمى اليوم الآخر) بمعنى أنه متصل بآخر أيام الدنيا (ويسمى يوم القيامة لقيام الناس فيه من قبورهم) وأول يوم القيامة من النفخة الثانية إلى استقرار الخلق في الدارين الجنة والنار . (أو لقيام الحجة عليهم) تفسر الحجة بالبينة الشاهدة ويحتمل أن يراد بالحجة ما يقام عليه من الحجة (أو لقيامهم بين يدي خالقهم ويسمى يوم النشور لأن الناس ينشرون فيه) . والنشر عبارة عن إحيائها بعد مماتها قال تعالى: (ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون) . (ويسمى يوم العرض لأن الناس يعرضون فيه) ، ويسمى يوم الموقف لأن الناس يقفون فيه) وأوله النفخة الثانية ولا آخر له . وقيل أن له آخر وهو الاستقرار في إحدى الدارين ؛ فيحيي الله الموتى بعد جمع أجزائهم المتفرقة هذا في غير من لا تبلى أجسادهم كالأنبياء والشهداء وقارىء القرآن العامل به والمؤذن المحتسب الموافق للشرع في أمره ونهيه وغير ذلك مما أراد الله به ذلك .

فصل في مكان الوقوف

(والوقوف يوم الجمعة بأرض الشام) قيل أنه (بيت المقدس) والله أعلم.
(فالواجب علينا أن نعتقد أن البعث حق) أي الإحياء للأبدان قال الله تعالى : (وإن الله يبعث من في القبور) هذا ما أجمع عليه المسلمون لكن اختلفوا في معناه فالصحيح الذي عليه الأكثر أن الله تعالى يعدم الذوات بالكلية ثم يعيدها . قال تعالى : (كما بدأكم تعودون) . (وأن النشر حق) أي ثابت وهو عبارة عن إحيائها بعد مماتها كما تقدم . قال تعالى : (إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم لدينا محضرون) فينادي إسرافيل : أيتها العظام النخرة والأوصال المتقطعة والعظام المتفرقة والشعور المتمزقة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء .
(والحشر حق) أي الجمع للحساب أي فهو عبارة عن جمع الأجساد وإحيائها وسوقها للموقف وغيره من مواطن الآخرة (والحساب حق) أي على الأعمال خيراً كانت أم شراً فعلاً أو قولاً بعد أخذ الكتب كما دلت عليه الأحاديث الصحيحة قال اللقاني أن الخلق في المحاسبة مختلفة الأحوال فمنهم من يحاسبه الله ومنهم من تحاسبه الملائكة ومنهم من يحاسبه الله والملائكة ومنهم من لا يحاسبه أصلاً كما جاء في حديث الصحيحين من طرق كثيرة قال ﷺ : يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب فقيل للنبي ﷺ هلا استزدت ربك قال: استزدته ؛ فزادني مع كل واحد من السبعين ألفاً سبعين ألفاً والزيادة على السبعين ألفاً واردة في غير الصحيحين من طرق متعددة فيها الصحيح وغيره وأقرب الألفاظ للحديث الأول حديث عبد الرحمن بن أبي بكر عند أحمد والبزار .
فالمؤمنون ثلاث طوائف: طائفة تدخل الجنة بغير حساب، وطائفة بعد حساب يسير ، وطائفة تعذب ، ثم تخرج بالشفاعة والحساب ثابت بالكتاب والسنة . قال تعالى: (فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً وينقلب إلى أهله مسروراً) . وقال الله تعالى : (إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم) . وقال

ﷺ : (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا) ، وأول من يحاسب أمة نبينا محمد ﷺ . (والوقوف حق) وقد تقدم الكلام عليه أي يقف الناس ما شاء الله فقد ورد إذا كان يوم القيامة غير الأرض ويأمرها أن تمد فتمتد كالأديم فيكون فيها مسيرة خمسماية عام تنزل ملائكة سماء الدنيا فيطوفون بالخلق ثم تنزل ملائكة السماء الثانية فيطوفون بالجميع إلى آخر السبع ثم يقول الله : (يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان) ويشتد الكرب ساخطين نحو السماء لا ينطقون فإذا طال انتظارهم طلبوا من يشفع لهم ليستريحوا من الوقوف فيقول بعضهم لبعض انطلقوا إلى أبينا آدم فينطلقون إليه ؛ فيقول لهم اذهبوا إلى نوح وهكذا حتى ينتهوا إلى سيدنا محمد ﷺ فيأتونه ؛ فيقول لهم أنا لها فيسجد تحت العرش فيدعوا الله طالباً الشفاعة في فصل القضاء ؛ فيقبل الله شفاعته في أهل الموقف في الانصراف فيقول : يا رب مر بعبادك الى الحساب وقد اشتد الكرب فيجاب إلى ذلك وهذه هي الشفاعة الكبرى لإراحة الناس من كرب الموقف وهو المقام المحمود الذي يحمده الأولون والآخرون .

فالشفاعة ثابتة وواقعة لأنها جائزة عقلاً وواجبة شرعاً بالكتاب وبالسنة قال تعالى : (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه) . وقال تعالى على لسان بعض بعض الكفار : (فما لنا من شافعين ولا صديق حميم) .

وعن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : شفاعتي لأهل الكبائر من من أمتي قال محمد بن علي فقال لي جابر : يا محمد من لم يكن من أهل الكبائر فما له وللشفاعة رواه الترمذي وأبو داود وبإجماع السنة سلفاً وخلفاً. خلافاً للخوارج وبعض المعتزلة لتعلقهم بمذهبهم في تخليد المذنبين في النار تمسكاً بقوله تعالى: (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) . وقوله تعالى : (ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع) وهم مخطئون في هذا فإن هاتين الآيتين في الكفار والشفاعة العظمى مختصة بنبينا محمد ﷺ كما تقدم وروي عن أبي هريرة وعن حذيفة رضي الله عنهما قالا : قال

رسول الله ﷺ : يجمع الله تبارك وتعالى الناس يوم القيامة فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة فيأتون آدم فيقولون : يا أبانا ستفتح لنا الجنة فيقول : وهــل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم ، لست بصاحب ذلك اذهبوا إلى ابـني إبراهيم خليل الرحمن قال : فيقول : إبراهيم ﷺ : لست بصاحب ذلك إنما كنت خليلاً من وراء وراء اعمدوا إلى موسى ﷺ الذي كلمه الله تكليماً فيأتون موسى فيقول : لست بصاحب ذلك اذهبوا إلى عيسى كلمة الله وروحه ؛ فيقول عيسى ﷺ : لست بصاحب ذلـك فيأتون محمداً ﷺ فيقوم فيأذن له . الحديث .

ويشفع البنون والمؤمنون بإذن الله تعالى قال الله تعالى : (يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولاً) . (والوزن حق) أي ثابت لا محالة أي يجب علينا أن نعتقد أن في القيامة ميزان توزن فيه صحائف الأعمال أو نفس الأعمال بعد أن تجسم الصالحات بأجسام نورانية والسيئات بأجسام ظلمــانية وله كفتان إحداهمـــا للحسنات والاخرى للسيئات أو الميزان كناية عن تقدير الأعمال وتحديد الجزاء عليها فكل جائز ويدل على الوزن قوله تعالى : (والوزن يومئذ الحق) وعلى الميزان قوله تعالى : (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة) . وقوله تعالى : (فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينـه فأولئك الذين خسروا أنفسهم) . وقد بلغت أحاديثه حد التواتر فمنها ماروي عن عائشة رضي الله عنها أنها ذكرت النار فبكت ، فقال لها رسول الله ﷺ : ما يبكيك ؟ فقالت : ذكرت النار فبكيت ، فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة يا رسول الله ؟ قال : أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحداً عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أو يثقل . وعند الكتاب حين يقال هاؤم اقرؤوا كتابيه حتى يعلم أين يقع كتابه في يمينه أم في شمـــاله أم من وراء ظهره وعند الصراط إذا وضع بين ظهراني جهنم . رواه أبو داود . فيجب الإيمان به ونمسك عن يقـين حقيقته ولايكون الوزن في حق كل أحد لأنه لا يكون للأنبياء والملائكة ومن يدخل

الجنة بغير حساب . (وإعطاء الكتب حق) أي ثابت لا محالة فبينما الناس في سؤالهم إذ طارت الصحف من تحت العرش فجاءت كل صحيفة لصاحبها فالسعيد يأخذها بيمينه والشقي يأخذها بشماله أو من وراء ظهره نسأل الله العفو والعافية فيجب الإيمان به لوروده كتاباً وسنة ولانعقاد الإجماع عليه ومن أنكره كفر والمراد بالكتب التي كتبت فيها الملائكة ما فعله العباد في الدنيا وظواهر الآيات والأحاديث شاهدة بعمومه لجميع الأمم . نعم الأنبياء لا يأخذون صحفاً وكذا الملائكة لعصمتهم ومن يدخل الجنة بغير حساب ، والدليل على إعطاء الكتاب للعباد قوله تعالى : (فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤوا كتابيه إني ظننت أني ملاق حسابيه فهو في عيشة راضية) الآية . وقوله تعالى : (وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه يا ليتها كانت القاضية) . وقوله تعالى : (فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً وينقلب إلى أهله مسروراً وأما من أوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبوراً ويصلى سعيراً) الآية صدق الله العظيم .

ومن السنة ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال ومعاذير فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي فآخذ بيمينه وآخذ بشماله . رواه الترمذي .

فعرض الناس وقوفهم بين يديه قال تعالى : (يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية) . وهذا الموقف له أحوال نظراً لما يجري فيه . فالحال الاولى وقوف الخلائق وهم سكوت قال تعالى : (وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همساً) وهذه أشق الأحوال عليهم حتى يتمنوا الانصراف ولو إلى النار فإذا التجأوا إلى الرسل وشفع النبي محمد ﷺ لهم عند الله قبل الله شفاعته وشرع في محاسبة الخلائق وهذه حالة ثانية واختلف في العاصي هل يأخذ كتابه بيمينه أو شماله والأسلم الوقف . قال في الإضاءة :

والأخذ للكتب به النص أتى والخلق في العاصي لديهم ثبتا

هل بيمين أو شمـــال يعطى كتابه ومن يقف ما أخطئا

المعنى من يتوقف من العلماء عن الكلام في ذلك (ما أخطأ) أي الصواب

(والحوض حق) أي ثابت لا محالة وهو الكوثر الذي يعطيه الله في الآخرة لنبينا محمد ﷺ وهو حوض ترده أمته عن أنس رضي الله عنه أغفى رسول الله ﷺ إغفاءة فرفع رأسه مبتسماً فإما قال لهم أو قالوا له: يا رسول الله لم ضحكت فقال إنه نزلت علي آنفاً سورة فقرأ: (بسم الله الرحمن الرحيم ، إنا أعطيناك الكوثر) حتى ختمها فلما قرأها قال: هل تدرون مـــا الكوثر ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال: فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل في الجنة وعليه خـير كثير عليه حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد الكواكب . رواه أبو داود .

فالإيمان به واجب لكن لا يكفر من أنكره وإنمـــا يفسّق وهو جسم مخصوص كبير متسع الجوانب يكون على الأرض الممداة وهـي الأرض البيضاء كالفضة من شرب منه لا يظمأ أبداً ترده هذه الامة وقد وردت فيه أحاديث متواترة منها ما ورد في الصحيحين .

من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما : حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه أكثر من نجوم السماء من شرب منه لا يظمأ أبداً .

وروي أيضاً عن النبي ﷺ قال بينما أنا أسير في الجنة إذا أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف . قلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الكوثر الذي أعطاك ربك فإذا طينه أو طيبه مسك أزفر . رواه البخاري وأبو داود والترمذي وعن

ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب ومجراه من الدر والياقوت تربته أطيب من المسك وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج رواه الترمذي بسند صحيح . وللبخاري : حوضي مسيرة شهر ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب منه فلا يظمأ أبداً ، ويكون شربه من أنهار الجنة على جهة التنعم لا عن عطش

وفي الجنة أنهار تجري بغير أخدود . قال تعالى : (فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات) .

واختلف العلماء هل نبينا اختص بالحوض من سائر المرسلين وهو الأصح. وقيل لكل رسول حوض ترده أمته ويزاد من حوضه ﷺ من بدل أو غير والمعنى يطرد المغير أو المبدل عن سيدنا محمد ﷺ أو يطرد كما تطرد الغريبة من من الإبل يطردها الناس عن حياضهم وبعضهم قال بالتعدد فقال : للنبي ﷺ حوضان : حوض قبل الصراط وحوض بعده والصحيح أنه حوض واحد قبل الصراط .

قال الشيخ أحمد المقري المالكي الأشعري في إضاءة الدجنة :

وحوضه مما به النص ورد	وفيه خلف هل به الهادي انفرد
وهو الأصح أو لكل مرسل	حوض من العذب الرحيق السلسل
وكونه بعد الصراط مختلف	فيه وبعض بالتعدد اعترف

وبالجملة : فالحوض كبحيرة في الموقف وله مدد من الجنة ماؤه أبيض من اللبن وأحلى من العسل تشرب منه الامة قبل دخول الجنة ومما يدل أن لكل نبي حوض تشرب منه أمته ولكن نبينا ﷺ سيكون أكثرهم أتباعاً بدليل

حديث سمرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : إن لكل نبي حوضاً وانهم يتباهون أيهم أكثر واردة وإني أرجو أن أكون أكثرهم واردة رواه الترمذي .

(والصراط) أي وجوده في الجملة والمرور عليه (حق) أي ثابت شرعاً وهو جسر ممدود على متن جهنم أوله في الموقف وآخره على باب الجنة ودليله من الكتاب قوله تعالى : (فلا اقتحم العقبة) . قال مجاهد والضحاك : العقبة : الصراط يضرب على جهنم كحد السيف مسيرته ثلاثة آلاف سنة ، ألف سنة صعود وألف سنة استواء وألف سنة هبوط . وقال رسول الله ﷺ : (يضرب الصراط بين ظهراني جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجوز عليه)وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في حديث طويل قال : (ثم يضرب الصراط بين ظهراني جهنم فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل وكلام الرسل يومئذ اللهم سلم سلم ، رواه الشيخان إلى غير ذلك من الأحاديث والله أعلم .

(ودخول أهل الجنة في الجنة) وهي دار الثواب التي أعدها الله لعباده المؤمنين (حق) أي ثابت بالكتاب والسنة قال تعالى : (يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون) . وقال تعالى : ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً عليهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شراباً طهوراً إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكوراً) .

ومن السنة ماروي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : قال الله عز وجل أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر

على قلب بشر ذخراً بله ما أطلعكم الله عليه ، ثم قرأ : (فلا تعلم نفس ما أُخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) رواه الشيخان والترمذي . وعنه عن النبي ﷺ قال : لقاب قوس أحدكم في الجنة خير مما طلعت عليه الشمس أو تغرب [1] . وعن سهل رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها . رواه البخاري في بدء الخلق ، وقد مر الكلام على عدد الجنان السبعة أي طبقاتها المذكورة في القرآن الكريم قال الله تعالى : (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم) وقال الله تعالى : (والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) وقال تعالى : (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً خالدين فيها لا يبغون عنها حولاً) . وقال تعالى : (عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى) . وقال تعالى : (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه) صدق الله العظيم .

عن سهل رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : في الجنة ثمانية أبواب فيها باب يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون . رواه الشيخان .

وأهل الجنة مخلدون فيها أبداً قال الله تعالى : (وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء الله عطاء غير مجذوذ) عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : إذا صار أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ثم يذبح ثم ينادي مناد : يا أهل الجنة لا موت يا أهل النار لا موت فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم رواه البخاري في الرقائق إلى غير

---

(١) رواه أصحاب السنة الخمسة .

ذلك . وبالجملة فطبيبات الجنة كثيرة والمذكور منها جنة المأوى وجنة عدن وجنة النعيم ودار السلام وجنة الفردوس وهي أعلاهن وفي كل طبقة من هذه عدة طبقات لقوله تعالى في تلك الآيات : (جنات النعيم وجنات الفردوس) . ولحديث أم حارثة حينما مات ولدها يوم بدر وجاءت تكلم النبي ﷺ فيه فقال : لها أجنة واحدة هي إنها جنات كثيرة ، وأنه في الفردوس الأعلى نسأله رضاه تعالى والجنة لنا وللمسلمين من دون سابقة عذاب والحمد لله رب العالمين .

(ودخول أهل النار حق) وهي دار العقاب التي فيها النار التي أعدها الله للكافرين والمنافقين وبعض العصاة لتنفيذ الوعيد فيهم دل ذلك الكتاب والسنة والإجماع أما الكتاب آيات كثيرة منها قوله تعالى : (إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً) . وقال تعالى : (وإن جهنم لموعدهم أجمعين لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم) . وقال تعالى : (واعتدنا لهم عذاب السعير) . وقال تعالى : (كلا إنها لظى نزاعة للشوى تدعو من أدبر وتولى وجمع فأوعى) وقال تعالى : (سأصليه سقر وما أدراك ما سقر لا تبقي ولا تذر لواحة للبشر عليها تسعة عشر وقال : (إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم يصلونها يوم الدين) . وقال تعالى: (وأما من خفت موازينه فأمه هاوية وما أدراك ما هيه نار حاميه وقال تعالى : (كلا لينبذن في الحطمة نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة إنها عليهم مؤصدة في عمدة ممددة) ومن السنة قوله ﷺ في رواية أبي هريرة رضي الله عنه قال : ناركم هذه التي يوقد ابن آدم جزء من سبعين جزءاً من حر جهنم . قالوا : والله إن كانت لكافية يا رسول الله . قال : فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزء كلها مثل حرها . رواه الشيخان والترمذي .

فاتضح مما تقدم من أبواب النار سبعة وهي : جهنم والسعير ولظى وسقر والجحيم والهاوية والحطمة ومعلوم أن كل باب كطبقة من طبقات النار التي أسفلها

طبقة المنافقين لقوم مخصوصين وقد أجمع المسلمون على أنه لا تفنى الجنة ونعيمها ولا النار ونعيمها . وسنده الكتاب والسنة أما الكتاب فمنه في شأن المؤمنين (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأوتوا به متشابهاً ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون) . وقال تعالى في أهل النار : « إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية) . وقال ﷺ : (إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد بين الجنة والنار يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت فمن أنكر دخول الجنة الجنة وأهل النار النار فهو كافر لإنكاره أمراً أعلم من الدين بالضرورة وأجمعت عليه الشرائع .

فصل في رؤية الله تعالى

فالمؤمنون سيرون ربهم في الجنة ولكنها رؤية من غير كيف ولا انحصار ولا تشبيه ولا تمثيل . قال تعالى : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) . صدق الله العظيم .

قال المصنف : (ورؤية المؤمنين لربهم حق) أي ثابت لا محالة فرؤية الله انكشافه تعالى للرائين انكشافاً تاماً من غير أن يكون تعالى في جهة أو مقابلاً للرائي أو محدوداً أو محصوراً وبدون تكيف أي كيفية من كيفيات رؤية الله بالأبصار من غير مقابلة و جهة وتكيف بأي كيفية ممكنة عقلاً في الدنيا والآخرة وواقعة للمؤمنين ودليلهم على إمكانها عقلي ونقلي أما النقلي فقوله تعالى : حكاية عن موسى عليه السلام : (رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني والاستدلال على ذلك بوجهين : الأول أن

موسى سأل الله الرؤية فلو كانت غير ممكنة ما سألها. الثاني : أن الله علّق رؤيته على ممكن هو استقرار الجبل والمعلق على الممكن ممكن . وقال تعالى أيضاً : (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) .

وأما السنة فمنها ما روي عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال : كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال: إنكم ستعرضون على ربكم فترونه كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا ثم قرأ : (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب رواه أربعة من أصحاب السنن والتشبيه للرؤية في عدم الشك والخفاء لا للمرىء كما قد يتوهم .

أما الإجماع فقد أجمعت الصحابة رضي الله عنهم على وقوع الرؤية في الآخرة للمؤمنين ولكنها لم تقع في الدنيا لغير نبينا ﷺ واختلفوا في وقوعها له عليه الصلاة والسلام . والصحيح أنه رأى ربه بعيني رأسه يقظة ليلة الإسراء والمعراج كما عليه جمهور الصحابة رضي الله عنهم رؤية تليق بالجلال أي بعظمة الله من نفي الكيف والشبه كما تقدم لأن الرؤية إدراك فكما يعلم يرى ولا يعلم كنهها لنا في الدنيا . وذهب المعتزلة إلى أن رؤية الله تعالى بالأبصار مستحيلة في الدنيا والآخرة ولهم أيضاً أدلة اعترضها أهل السنة بالأدلة المتقدمة .

(وأهوال الآخرة) الأهوال : جمع وهو الأمر المشق الذي يحصل للنفس منه انزعاج والآخرة قد تقدم الكلام عليها وهو يوم القيامة ويوم الدين ويوم الجزاء وله أسماء كثيرة تزيد على المائة ودليل ذلك قوله تعالى : (يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) .

ومن السنة ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعاً ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم » رواه الشيخان .

وعن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «يقوم الناس لرب العالمين قال يقوم أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه» رواه الشيخان والترمذي.

وليس هذا لكل الناس بل إن لله عباد اختارهم واصطفاهم وأظلهم في ظله يوم لا ظل إلا ظله وأعطاهم نعيماً لا يعلمه إلا هو كما يأتي ، وهذا كله (حق) ثابت بالأدلة كما ذكرنا .

(وجميع نعيمها حق) أي ثابت . قال الله تعالى : « وعـــد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم » وقال تعالى : « وفيها مـــا تشتهي الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون » وقال تعالى : « وتلك الجنة التي أررثتموها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون » . وقال تعالى : « وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلـــما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابهاً ولهـم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون » .

وفي الحديث القدسي : « أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » كما تقدم . ولا أريد أن أذكر إلا الدليل على كلام

المصنف وإلا فهذا بحر لا ساحل له لو أجرينا فيه عنان قلمنا لخرجنا عن قضيتنا نسأل الله رضاه والجنة آمين .

(انتهى الكلام على الإيمان باليوم الآخر) . ثم شرع يتكلم على البـاب السادس وهو الإيمان بالقدر فقال :

الباب السادس

في الايمان بالقدر خيره وشره

(أما الإيمان بالقدر) خيره وشره أي يجب أن نؤمن بأن ما قدره الله في الأزل لا بد من وقوعه وما لم يقدره يستحيل وقوعه وبأنه تعالى قدر الخير والشر قبل الخلق وأن جميع الكائنات بقضائه وقدره وإرادته لقوله تعالى : « خلق كل شيء »،والله خلقكم وما تعملون » إنا كل شيء خلقناه بقدر ». بنصيب كل كما أجمع عليه السبعة وحينئذ يكون نصاً في عموم الخلق إذ تقديره إنا كل شيء مخلوق لنا بقدر،ولاجماع السلف والخلق على صحة قول القائل ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ولخبر كل شيء بقدر حتى العجز والكيس .

وبالجملة فهو مجموع أمور ثلاثة : قدرة وإرادة وعلم وكذلك القضاء وهما راجعان إلى العلم والإرادة وتعلق القدرة .

فالقدر عند الأشاعرة إيجاد الله الأشياء على قدر مخصوص ووجه معين أراده الله تعالى ويرجع عندهم لصفة فعل لأنه عبارة عن الإيجاد وهو من صفات الأفعال والقضاء عندهم إرادة الله الأشياء في الأزل على ما هي عليه فيما لايزال فهو من صفات الذات .

والقدر عند الماتريدية تحديد الله أزلاً كل مخلوق بحده الذي يوجد عليه من

حسن و قبح ونفع وضر إلى غير ذلك أي علمه تعالى أزلاً صفات المخلوقات فيرجع عندهم لصفة العلم .

والقضاء عندهم : إيجاد الله الأشياء مع زيادة الإحكام والإتقان فهو صفة فعل والمعنى أن الله تعالى علم مقادير الاشياء وأزمانها قبل إيجادها ثم أوجد ما سبق في علمه أنه يوجد فكل محدث صادر عن علمه وقدرته وإرادته هذا ما عليه السلف من الصحابة وخيار التابعين كالاشعري والماتريدي وكافة أهل السنة ودليلهم من الكتاب قوله تعالى : « إنا كل شيء خلقناه بقدر » كما تقدم .

ومن السنة حديث الاربعين: الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وتؤمن بالقدر خيره وشره حلوه ومره .

وحديث علي كرم الله وجهه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربعة أشياء : يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله بعثني بالحق ويؤمن بالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر خيره وشره حلوه ومره » رواه ابن ماجه وإنما عدلوا على الدليل السمعي هنا لأنه أسهل للعامة وإلا فقد علمت مما سبق أن القضاء والقدر يرجعان للصفات ودليلها عقلي ونقلي (كما تقدم والله أعلم) .

فصل في الواجب علينا في الاعتقاد

(فالواجب علينا) وجوباً شرعياً وعقيدة أصولية (أن نعتقد أن كل ما أصابنا من خير) أي طاعة ومنفعة (وشر) أي من معصية ومضرة أن نؤمن بأنه بقضاء الله وقدره (ونفع وضر وحلو ومر كله من عند الله تعالى أوقفه علينا الآن بقدرته وإرادته وسبق في علمه قبل وقوعه) .

قال صاحب الرسالة : ومقادير الامور بيده ومصدرها عن قضائه علم كل

شيء قبل كونه فجرى على قدره لا يكون من عداده قول ولا عمل إلا وقد قضاه وسبق في علمه « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » .

وفي الحديث القدسي عن رب العزة : « من لم يرض بقضائي ويصبر على بلوائي فليطلب رباً سوائي » .

ومن اعتقد أن الله تعالى لا يعلم الاشياء قبل وقوعها يكون كافراً لنسبة الجهل إليه تعالى .

ومن اعتقد أن الله لا يخلق أفعال العباد الاختيارية ولا يريد المعاصي يكون فاسقاً لمخالفته أهل السنة والجماعة انتهى الكلام على الإيمان بالقدر .

الباب السابع

في عدم تأثير الأسباب العادية

(والاسباب العادية لا تأثير لها) بل المؤثر في الاسباب العادية والمراد بها ما لا يعقل من الاسباب العادية هو الله تعالى وأن الملازمة والمقارنة بين الاسباب والمسببات عادي يمكن تخلفه بأن يوجد السبب دون المسبب كما في نار الخليل وهذا هو المنجي عند الله وهو اعتقاد أهل السنة وقد مثل لهـا المصنف بقوله (كالطعام والشراب والثوب والجدار والنار والسراج والشمس والقمر ونحـو ذلك) أي من الكائنات لا تأثير لها بل المؤثر هو الله وحده .

فصل في الطعام والشبع

(فعند أكل الطعام يخلق الله الشبع إن شاء والطعام ليس له تأثير وإلا كان الطعام مستغنياً عنه تعالى وهذا محال) .

فصل في الماء والظمأ

(وعند شرب الماء يخلق الله الري إن شاء والماء ليس له تأثير) أي بذاته وإلا كان ذلك الري مستغنياً عنه تعالى لأن الأثر إنما يفتقر لمؤثره وهو غير الله وهذا محال (وعند الجدار يخلق الله الظل إن شاء والجدار ليس له تأثير . وعند

لبس الثوب يخلق الله الستر إن شاء والثوب ليس له تأثير . وعند النار يخلق الله الإحراق إن شاء والنار ليس لها تأثير) . فالنار مثلاً لا تؤثر في الإحراق وإلا كان الإحراق مستغنياً عنه تعالى . (وعند السراج والشمس والقمر يخلـــق الله الضوء إن شاء والسراج والشمس والقمر ليس لهن تأثير) وإنما المؤثر في الجميع هو الله تعالى . والمؤمن المحقق الإيمان من لم يسند لها تأثيراً ودليل ذلك من الكتاب قوله تعالى : (الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه) ودليل العقل أن نقول لو كان لغيره تعالى تأثير في شيء من الكائنات لكان تعالى عاجزاً عن ذلك الممكن لكن التالي باطل إذ لو كان عاجزاً عن ممكن ما لكان تعالى عاجزاً عن غيره أيضاً للتماثل لكن التالي باطل فغاية الامر أن أهل السنة يقولون لا تأثـير لشيء من الكائنات في أثر ما ويثبتون الإحراق للنار والري للماء ونحو ذلك من أنها سبب والمؤثر هو الله وحده وغيرهم الفرق الضالة فمنهم من يقول أنها مؤثرة بنفسها وبعضهم يقولون بقوة أو دعت فيها وكلامهم باطل والدليل على بطلان أن لا تأثير لشيء من الكائنات في أثر ما بطبعه أو بقوة جعلها الله فيه لانه يلزم أن يستغني ذلك الاثر عن مولانا عز وجل كيف وهو الذي يفتقر إليه كل مـا سواه عموماً وعلى كل حال انتهى .

الباب الثامن

في كلمة التوحيد

(ويجمع معاني هذه العقائد كلها قول لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ فالجامع المعنى والمجموع معنى العقائد المتقدم ذكرها) في أول الكتاب.

فصل في عدد العقائد

(وهي ثمانية وأربعون عقيدة فيدخل في معنى لا إله إلا الله معنى ما يجب لله وما يستحيل عليه وما يجوز وهو إحدى وأربعون عقيدة ويدخل في معنى قولنا محمد رسول الله ﷺ معنى ما يجب للرسل وما يستحيل عليهم وما يجوز وهي سبعة عقائد) وقد تقدم ذكرها .

(فمعنى لا إله الا الله لا مستغني عن كل ما سواه ولا مفتقِرٌ إليه كل ما عداه إلا الله تعالى فيدخل في الاستغناء إحدى عشر عقيدة من الواجبات واحدى عشر عقيدة من المستحيلات والجائز الواحد ويدخل في الافتقار تسعة من الواجبات وتسعة من المستحيلات . ثم شرع المصنف في بيان ذلك تفصيلاً فقال :

فصل في خلاصة العقائد تفصيلاً

(وبيان ما يدخل تحت جزء الاستغناء واحدة نفسية وهـي الوجود) فوصفه تعالى بالاستغناء يوجب له الوجود أي يقتضي ويستلزم وجوب الوجـود وتقدم معناه (وأربعة سلبية وهي القدم والبقاء ومخالفته تعالى للحوادث والقيام بالنفس) . اذ لو انتفى شيء من هـذه الصفات لكان حادثاً فيفتقر الى محدث فيلزم الدور أو التسلسل الدور هو توقف الشيء على شيء متوقف على الشيء الاول بأن يكون كل فرد خالقاً ومخلوقاً على الانحصار والتسلسل هو ترتيب أمور غير متناهية بأن يكون كل فرد أوجـد الآخر الى ما لا نهاية له والدور والتسلسل محالان . كيف وهو الغني عن كل ما سواه (وثلاثة من المعاني وهي السمع والبصر والكلام) اذ لو لم يجب له هـذه الصفات لكان محتاجاً الى من يدفع عنه هذه النقائص كيف وهو الغني .

(وثلاثة من المعنوية) وهي (كونه تعالى سميعاً وبصيراً ومتكلماً) فجملة ما استلزمه الاستغناء عن كل ما سواه من الصفات احدى عشر عقيدة وهـي النسبة المعتقدة وهي (الوجود والقدم والبقاء والمخالفة للحوادث والقيام بالنفس والسمع والبصر والكلام وكونـه تعالى سميعاً وبصيراً ومتكلماً وأضدادهـا احدى عشر فضد النفسية الواحـدة وهـي العـدم وضد السلبية أربعة وهي الحدوث وضد العدم والمماثلة للحوادث والافتقار إلى المحل والمخصص وأضـداد صفات المعاني الثلاثة ثلاثة وهي الصمم والعمى والبكم وأضداد الثلاثة المعنوية ثلاثة وهي كونه أصم وأعمى وأبكم .

هذه أضداد العقائد المتقدم ذكرها وهي إحدى عشر (والجائز) في حقه تعالى (فعل كل ممكن أو تركه) أي لا يتحتم على الله أن يفعل شيئاً بذاته ولا يـترك شيئاً بذاته . (فجملة الاحدى عشر الواجبات على الإحدى عشر المستحيلات اثنان وعشرون عقيدة) ويضاف إليها الجائز الواحد فتبقى الجملة ثلاثة وعشرون

عقيدة يجب على المكلف تحصيلها (وبيان ما يدخل تحت جزء الافتقار واحدة سلبية وهي الوحدانية) . إذ لو كان معه تعالى ثاني في ألوهيته لما افتقر إليه جل وعلا شيء للزوم عجزها حينئذ كيف وهو الذي يفتقر إليه كل ما سواه .

(واربعة من المعاني وهي القدرة والإرادة والعلم والحياة) إذ لو انتفى شيء من هذه الصفات لما أمكن أن يوجد شيئاً من الحوادث فلا يفتقر إليه كيف وهو الذي يفتقر إليه كل ما سواه .

(وأربعة من المعنوية وهي كونه تعالى قادراً و مريداً وعالماً وحياً) وهي فرع من المعاني وأضدادها) أي العقائد التي تدخل تحت جـــزء الافتقار (تسعة) وتفصيلها فضد السلبية الواحدة واحدة وهي التعدد وأضداد صفات المعاني الأربعة، أربعة وهي العجز والكراهة والجهل والموت وأضداد الصفات المعنوية الأربعة أربعة وهي كونه عاجزاً وكارهاً جاهلا وميتاً .

فجملة السبعة الواجبات على التسعة المستحيلات ثمانية عشر وإذا أضفتها إلى الثلاثة والعشرين المتقدم ذكرها تبقى الجملة إحدى وأربعون عقيدة كلهاداخلة في معنى لا إله إلا الله بعضها تحت استغناء الإله عن كل ما سواه وبعضها تحت الافتقار وإذا أضفنا إليها محمد رسول الله ﷺ كانت الجملة ثمانية وأربعون عقيدة كما قال المصنف آنفاً .

فائدة في معنى اسم الجلالة ومعنى كلمة التوحيد

(إذا قيل لك ما معنى الله وما معنى الإله وما معنى الألوهية وما معنى لا إله إلا الله) الجواب عن ذلك (فتقول الله اسم لموجود) أي فالله علم على الذات فقط المعينة بكونها واجبة الوجود فهو تعالى (واجب الوجود) مستحق لجميع

المحامد ففيه إشارة إلى عقيدة وجوب الوجود له والمراد بوجوب وجوده عدم قبول وجوده للانتفاء ويلزم من الشهادة بوجوب الوجود الشهادة بالوجود .

(موصوف بالصفات) جمع صفة وهي المعنى القائم بالموصوف والمراد بها ما ليس ذاتاً فيصدق بالنفسية والسلبية والمعاني والمعنوية وقد مر الكلام عليها تفصيلاً ويشمل أيضاً صفات الجلال وهي الصفات الدالة على القهر أوالبطش مثلاً كجبار وقهار ومنتقم وصفات الجمال وهي الصفات الدالة على البسط كباسط ورحمن وغفور وهكذا .

وبالجملة فهو تعالى متصف بصفات الكمال جلالية وجمالية وقد ورد في عدة أحاديث ما معناه أن لله تعالى كمالات لا نهاية لها .

(منزه عن النقائص) جمع نقيصة والنقص على الله محال كالمستحيلات وكالشبيه والنظير والولد والصاحبة والوالدة والوالد والصاحبة والشريك وسائر النقائص (والآفات) أي منزهاً عن لحوق التغيير والزوال متعالياً عن الأين والكيف والمثال فالله تعالى ليس له مسمى ولا كفؤ له فهو المعبود بالحق فلاشريك له بوجه (أو تقول الله علم على الذات الواجب الوجود) والوجود صفة نفسية قائمة بذاته تعالى والدليل عليها من القرآن قوله عز وجل : (قالت رسلهم أفي الله شك) يعني أفي وجود الله شك لا بل لا يشك في وجود الله إلا كافر اعمى الله بصيرته والدليل عليها من العقل إن كل صناعة لا بد لها من صانع أفلا يدل هذا الكون على أن له صانعاً ولا بد للصانع أن يكون موجوداً .

(المستحق للعبادة) أي فلا يستحق العبادة غيره لأن سواه مفتقر للأعراض البشرية من أكل الطعام ونحوه ولأن من لوازم أكل الطعام خروج الفضلة المعلومة المنافية للعظمة والكبرياء اللازمين للألوهية .

فصل في معنى الإله عند المتأخرين وعند المتقدمين

(ومعنى الإله عند المتأخرين) وهم ما بعد الخمسمائة سنة (هو المستغني عن كل ما سواه المفتقر إليه كل ما عداه) أي فحقيقة الإله المعبود بحق ويلزم منه أنه مستغني عن كل ما سواه ومفتقر إليه كل ما عداه ومعناه عند المتقدمين وهم ما قبل الخمساية سنة .

(هو الواجب الوجود) أي الذاتي وأما الوجود غير الذات كوجودنا فهو بفعله ومعنى الواجب الوجود أنه لا يجوز عليه العدم فلا يقبل العدم لا أزلاً ولا أبداً والدليل على وجوب الوجود له تعالى أن تقول الله يجب افتقار العالم اليه وكل من وجب افتقار العالم اليه فهو واجب الوجود ينتج اليه واجب الوجود .

(المستحق للعبادة) لأنه لا إله غيره يستحق العبادة .

فصل في معنى الألوهية عند المتأخرين

(وهي عبارة عن استغناء الإله عن كل ما سواه وافتقار كل ما عداه إليه تعالى)وأما عند المتقدمين فهي عبارة عن وجوب وجوده واستحقاقه للعبادة ومعنى لا إله إلا الله عند المتأخرين لا مستغني عن كل ما سواه ولا مفتقر اليه كل ما عداه إلا الله ومعناها عند المتقدمين لا واجب الوجود ولا مستحقاً للعبادة. إلا الله تعالى فيدخل في جوب الوجود ما يدخل تحت جزء الاستغناء من الواجبات الإحدى عشر وأضدادها كذلك والجائز الواحد ويدخل في استحقاقه تعالى للعبادة ما يدخل تحت جزء الافتقار من الواجبات التسعة والمستحيلات التسعة وقد تقدم شرح ذلك كله .

ولما فرغ الشيخ رحمه الله من الأقسام الثلاثة التي يجب على المكلف معرفتها

في حق مولانا عز وجل وفي حق رسله وبيّن اندراج العقائد في قول : لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ أراد أن يذكر بعض ما سبق زيادة للايضاح فقال :

فصل في معنى محمد رسول الله ﷺ

« ويدخل في معنى قولنا محمد رسول الله ﷺ معنى ما يجب للرسل وما يستحيل وما يجوز » وقد تقدم شرح ذلك كله .

الباب التاسع

في الانبياء والملائكة والكتب السماوية .. الخ

(والإيمان بسائر الأنبياء) أي بباقيهم والمراد بالإيمان بالأنبياء الإيمان بوجودهم والمعتمد أنه لا يعلم عددهم إلا الله وحينئذ فكل من ذكر منهم باسمه العلم في القرآن وجب الإيمان به تفصيلا وغيرهم يجب الإيمان به إجمالاً وقد تقدم ذلك) .

(والملائكة وهم أجسام نورانية أي مخلوقة من النور لا يأكلون ولا يشربون دأبهم الطاعات ومسكنهم السماوات وقد مر الكلام عليهم) .

(والكتب السماوية) أي المنسوبة إلى السماء لأنها جاءت من جهتها والمنسوبة للسمو وهو العلو والأول أظهر .

(واليوم الآخر) مبدؤه من النفخة الثانية وهي نفخة البعث باتفاق واختلف في آخره فقيل لا آخر له فعليه اليوم الآخر من النفخة الثانية إلى ما لا نهاية له وقيل إلى دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وقد مر الكلام عليه . لأنه ﷺ جاء بتصديق ذلك كله أي جاء بطلب أو بوجوب التصديق بذلك كله والمراد بالتصديق الصدق .

فصل في عدد الانبياء والرسل

(فقولنا بسائر الأنبياء) جمع نبي والنبي مخبر بالغيب خاصة فكل رسول نبي ولا ينعكس والرسول هو إنسان ذكر حر أوحى الله تعالى بشرع وأمره بتبليغه للخلق وإن لم يؤمر بالتبليغ يسمى نبياً فقط .

وقد تقدم واعلم أنه يجب الإيمان بجميع الأنبياء والرسل إجمالاً بأن يؤمن المكلف بكل نبي ورسول لله تعالى وبما يجب لهم وما يستحيل وما يجوز والأولى أن لا يعين عدداً مخصوصاً لاختلاف الروايات في عددهم ولذا قال المصنف ولا يعلم عددهم إلا الله لقوله تعالى : « ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك » ، لكن يجب الإيمان تفصيلا بالرسل الذين ذكرت أسماؤهم في القرآن الشريف وقد نظمهم بعضهم فقال :

أسماء رسل الله في القرآن ... خمس وعشرون خذ بيان
هم آدم إدريس نوح هود ... يونس الياس اليسع داود
إسحق إبراهيم لوط موسى ... ذو الكفل يحيى زكريا عيسى
شعيب ثم صالح أيوب ... هارون ثم يوسف يعقوب
ثم سليمان وإسماعيل ... محمد خاتمهم الجليل

وقيل : إن عددهم أي الأنبياء والرسل مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبي فالرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر .

وقيل إنهم ثلاثمائة وأربعة عشر . وقيل ثلاثمائة وخمسة والأسلم الإمساك عن حصرهم وهو المعتمد كما قدمنا . (والله أعلم بالحقيقة والرسل كلهم عجم) أي يتكلمون باللغة العجمية إلا خمس محمد ﷺ وإسماعيل وهود وصالحاً وشعيباً

والوحي إلى جميعهم في المنام إلا أولو العزم الخمسة وهم : سيدنا محمد وإبراهيم وموسى ونوح وعيسى عليهم الصلاة والسلام ونظمهم بعضهم فقال :

محمد إبراهيم موسى كليمه ونوح وعيسى هم أولو العزم فاعرفا

ونقل أيضاً عن بعضهم أن جميع الأنبياء من ولد إبراهيم إلا آدم وشيث وإدريس ونوح وهود وصالح ولوط ويونس عليهم السلام وكلهم من بني إسرائيل إلا عشرة الثمانية المذكورة وإبراهيم وإسحق وعد الشيخ العدوي أيوب أيضاً .

فصل في عدد الملائكة

(وقولنا بسائر الملائكة) جمع ملك وتاؤه لتأنيث الجمع وقيل للمبالغة غلب في الأجسام النورانية المبرأة من الكدرات الجسمانية القادرة على التشكل بالأشكال المختلفة أي يجب على كل مكلف أن يعتقد اعتقاداً جازماً بوجود سائر الملائكة ولا يعلم عددهم إلا الله تعالى . قال تعالى : (وما يعلم جنود ربك إلا هو) أي الله سبحانه وتعالى وقد مر الكلام على ذلك .

فصل في عدد الكتب السماوية

(وقولنا بسائر الكتب) أي يجب على كل مكلف شرعاً الإيمان بالكتب السماوية المنزلة من الله تعالى عن الرسل وبين فيها وعده ووعيده وإن كل ما تضمنته حق وصدق وأن بعض أحكامها نسخ وبعضها لم ينسخ قال الزمخشري وغيره وهي مائة كتاب وأربعة كتب أنزل منها خمسون على شيث وثلاثون على إدريس وعشرة على آدم وعشرة على إبراهيم والتوراة والإنجيل والزبور والفرقان فالتوراة لموسى والزبور لداود والإنجيل لعيسى والفرقان لسيدنا محمد ﷺ ثم اعلم أن جميع الكتب المنزلة قد نسخت بالقرآن تلاوتها وبعض أحكامها وقد مر الكلام على ذلك والله أعلم .

فصل في اليوم الآخر و تفسيره

(وقولنا اليوم الآخر هو يوم القيامة) وسمي يوم القيامة لقيام الناس فيه من قبورهم وقيامهم بين يدي خالقهم وقيام الحجة لهم وعليهم واعلم أنه على كل مكلف شرعاً الإيمان باليوم الآخر وقد مر الكلام عليه . والواجب الإيمان بـه وما اشتمل عليه كما مر والدليل على دخول هذه الأمور كلها في قولنا محمـد رسول الله أنه ﷺ لأنه جاء بتصديق ذلك كله وقد مر الكلام على ذلك .

فصل في الايمان بالقدر

(بالقدر) القدر مصدر قدرت الشيء بتخفيف الدال وفتحها أقـدره بالكسر والضم قدراً وقـدراً إذا أحطت بمقداره أي ومما يجب شرعاً على كل مكلف أن يؤمن بالقدر أي يعتقد أن الله تعالى علم مقادير الأشياء وأزمانها قبل إيجادها ثم أوجدما سبق في علمه أنه يوجد فكل موجود صادر عن علمه وقدرته وإرادته هذا من المعلوم من الدين بالبراهين القطعية وعليه كان السلف من الصحابة وخيار التابعين وكما أمرنا الإيمان به فقد نهينا عن الخوض في مباحثه ولكن لما كان الإيمان به واجب لا بد من تفسير معناه وقد تقدم معنى القضاء والقدر .

قال المصنف : (وأما الإيمان بالقدر فيدخل في قولنا لا إله إلا الله أعني في جزء الافتقار لأن القدر مجموع أمور ثلاثة وهي القدرة والإرادة والعلم) فالقضاء والقدر راجعان لما تقدم من العلم والارادة ولكن لما كان حظر الجهل في هـذا الفن عظيماً صرحوا بهما (والله أعلم) ثم شرع يذكر خلاصة ما في جميع الأبواب فقال :

الباب العاشر

في خلاصة ما في جميع الابواب

ولما فرغ من ذكر ما يجب على المكلف معرفته من عقائد الإيمان في حق مولانا عز وجل وفي حق رسله عليهم الصلاة والسلام وباقي أركان الإيمان واندراج جميع ما سبق تحت كلمة التوحيد وهي لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ أراد أن يشكر الله الذي جمع لنا جميع العقائد في هذه الكلمة المشرفة .

(قلت) بضمير المتكلم وهو يقصد نفسه وجميع المسلمين (نحمده) أي الله تعالى وله الحمد أن (جمع لنا هذه العقائد كلها الكثيرة المفصلة في كلمة واحدة) وهي كلمة التوحيد (مع قلة حروفها) وهي أربعة وعشرون حرفاً على عدد ساعات الليل والنهار (سهلة في لفظها هينة في تعليمها يسيرة لمن رامها) أي قصد معرفة معناها أو ذكرها (خفيفة على اللسان) أي على لسان ذاكرها (ثقيلة في الميزان) أي ميزان من قالها صادقاً . قال رسول الله ﷺ لأبي هريرة رضي الله عنه : « يا أبا هريرة إن كل حسنة تعملها توزن يوم القيامة . إلا شهادة أن لا إله إلا الله فإنها لا توضع في ميزان لأنها لو وضعت في ميزان من قالها صادقاً ووضعت السموات السبع والأرضون السبع وما فيهن كانت لا إله إلا الله أرجح من ذلك »

قال في شرح أم البراهين : لا شك أنه ﷺ قد خص بجوامع الكلم فتجد

كل كلمة من كلماته من الفوائد ما لا ينحصر فاختار لأمته في ترجمة الإيمان ومـا يمرحون به في الجنان حيث شاؤوا هذه الكلمة المشرفة السهلة حفظـاً وذكراً الكثيرة الفوائد علماً وحساً فلما تعبوا من تعلم العقائد الكثيرة المفصلة جمع لهم في حرز هذه الكلمة المنيع والحصن الحصين وتمكنوا من ذكر العقائد كلها بذكر واحد خفيف على اللسان ثقيل في الميزان ثم تنبه أيها المؤمن العظيم لرحمة الله تعالى وإنعامه علينا بهذه الكلمة الشريفة وهو أن المكلف إنما ينجو من الخلود في النار إذا اتصف في آخر حياته بعقائد الإيمان التي تتعلق بالله وبرسله عليهم الصلاة والسلام والغالب عليه في ذلك الوقت الهائل الضعف عن استحضار جميع العقائد مفصلة فعلمه الشرع بمقتضى الفضل العظيم هذه الكلمة السهلة العظيمة القدر حتى يذكر بها من غير مشقة تناله جميع عقائد الإيمان بلسانه أو بقلبه واكتفى منه في هذا الوقت الضيق بذكرها مجملة إذ طالما أداها قبل ذلك على لسانه وقلبه مفصلة ولهذا قال ﷺ من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة وقال أيضاً من مات وهـو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة فالأول لمن يستطيع النطق والثانية لمن لا يستطيعه والله أعلم .

ونورد هنا ما نقله السيد السهروردي في جواهر العقدين وعن الفصول المهمة وذلك ما روي أن المأمون لما صرف من مرو ويريد العراق واجتـاز نيسابور وكان على مقدمته الإمام علي الرضا فقام إليه الإمامان الحافظان أبو زرعة الرازي ومحمد بن مسلم الطوسي ومعهما قوم من المشايخ وقالوا نسألك بحق قرابتـك من رسول الله ﷺ أن تحدثنا بحديث ينفعنا . قال : حدثني أبي موسى الكاظم عن أبيه جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن أبيه زين العابدين بن علي بن الحسين عن أبيه الحسين عن أبيه علي بن أبي طالب عن رسول الله ﷺ عن جبريل الأمين عن الله أنه قال : لا إله إلا الله حصني ومن قالها دخل حصني ومن دخل حصني أمن من عذابي ، ثم أرخى الستر وسافر فعد أهل المحابر والدفاتر والذين يكتبون فأنافوا على عشرين ألفاً .

قال الإمام أحمد : لو قرئت هذه المسانيد على مجنون لبرىء (عظيمة عند الرحمن) معناه ذو الرحمة الواسعة ورحمة الله إرادته الخير والنعمة والإحسان إلى خلقه فهو تعالى رحمن الدنيا ورحيم الآخرة (لأنها) أي كلمة التوحيد (شجرة الإسلام والإيمان) لاشتمالها على قواعده وأركانه فهي كلمة التوحيد وكلمة الإخلاص وكلمة التقوى والكلمة الطيبة وثمن الجنة ودعوة الحق والعروة الوثقى ، وسيأتي شرح ذلك (وقد مدحها الله تعالى في القرآن الكريم وسماها بالعروة الوثقى) صدق الله العظيم .

فصل في العروة الوثقى والاستمساك بها

(الوثقى) تأنيث الأوثق وقيل العروة الوثقى الذي يتوصل به إلى رضاه الله تعالى التي لا تنفصم في قوله تعالى : « فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها » أي لا انقطاع لها .

قال التفتازاني : شبه التدين بالدين الحق والثبات على الهدى والإيمان بالتمسك بالعروة الوثقى المأخوذة من الحبل المأمون تقطعها التي لا تنفصم قال تعالى : «فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها» وقوله تعالى : «ومن يسلم وجهه لله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى» وفي ذلك تلويح إلى تعبيره ﷺ في رؤيا عبد الله بن سلام رضي الله عنه بالإسلام الكامل المرادف للدين .

ففي صحيح البخاري رضي الله عنه عن قيس بن عبادة قال : « كنت جالساً في مسجد المدينة فدخل رجل على وجهه أثر الخشوع فقالوا هذا رجل من أهل الجنة فصلى ركعتين تجوز فيهما ثم خرج وتبعته فقلت إنك حين دخلت المسجد قالوا هذا رجل من أهل الجنة قال والله لا ينبغي لأحد أن يقول ما لا يعلم ،

فسأحدثك لم ذاك رأيت رؤيا على عهد النبي ﷺ فقصصتها عليه رأيت كأني في روضة ذكر من سعتها وخضرتها وسطها عمود من حديد أسفله في الأرض وأعلاه في السماء في أعلاه عروة فقيل لي ارقَ فقلت لا أستطيع فأتاني منصف فرفع ثيابي من خلفي فرقيت حتى كنت في أعلاها فأخذت بالعروة فقيل لي استمسك فاستيقظت وانها لفي يدي فقصصتها للنبي ﷺ فقال لي تلك الروضة الجنة وذلك العمود عمود الإسلام وتلك العروة الوثقى فأنت على الإسلام حتى تموت » انتهى .

(لأن من تعلق بها) أي بهذه الكلمة وهي العروة الوثقى التي كناية عن الدين الخالص (فقد فاز) ظفر ونجا أي سلم من عذاب الدنيا والآخرة وعن كعب أوحى الله الى موسى عليه السلام في التوراة لولا من يقول لا إله إلا الله لسلطت جهنم على أهل الدنيا أي فلا إله إلا الله سور لأهل الدنيا حافظة لهم من جهنم (ومن طلقها) بتشديد اللام أي فارق لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ والعياذ بالله (فقد خسر) يقال : خسر خسراً وخسراناً هلك (وندم) يقال : ندم على ما فعل إذا حزن أو فعل شيئاً ثم كرهه (وسمى) أي الله (أهلها) أي أهل لا إله إلا الله محمد رسول الله (الذين أحسنوا في قوله) تعالى (للذين أحسنوا) أي في الدنيا بقولهم لا إله إلا الله (الحسنى) أي وهي الجنة (وزيادة) أي ولهم الزيادة على الحسنى وهي رؤية المولى جل جلاله (فوعدهم بالحسنى وهي الجنة دار النعيم وجعل لهم بعد الحسنى زيادة وهي النظر إلى وجهه الكريم أي في الآخرة كما قاله جمهور المفسرين .

(وقال) الله تعالى (في حق من امتنع من هذه الكلمة) المشرفة وهي لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ « كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون » قال الإمام مالك رحمه الله : لما حجب أعداءه فلم يروه تجلى لأوليائه حتى رأوه (وسماها كلمة طيبة) في قوله تعالى : « ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة

قال ابن عباس وأكثر المفسرين هي لا إله إلا الله (كشجرة طيبـــة) قال ابن مسعود هي النخلة وعن ابن عباس هي شجرة في الجنة .

فصل في الشجرة الطيبة

(الشجرة الطيبة) وهي النخلة (والكلمة الطيبـــة) وهي لا اله الا الله محمد رسول الله ﷺ كما تقدم (ومثلها) أي الله تعالى بالشجرة الطيبة كما فسرها رسول الله ﷺ في حديث طويل رواه ابن عمر رضي الله عنهما « أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم أن الله تعالى ضرب مثل المؤمن بشجرة فأخبروني ما هـي ؟ قال عبد الله فوقع الناس في شجر البوادي وكنت صبياً فوقع في قلبي أنها النخلة فهبت رسول الله ﷺ أن أقولها وأنا صغير القوم وروى فمنعني مـــكان عمر فاستحييت فقال له عمر : يا بني لو كنت قلتها لكانت أحب الي من حمر النعم ثم قال رسول الله ﷺ الا انها النخلة ووصفها الله تعالى بقوله تعالى : « أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها » لأن الطيبات لا تكون الا للطيبين وهم المؤمنون (وسماها عهد لأن من قالها دخل في عهده أهل الإسلام فكان له ما لهم وعليه ما عليهم (كالصلاة) أي عليه أي بعد وفاته (ونحوها من الأحـكام الشرعية) أي الدنيوية من غسل وصلاة عليه ودفن في مقابر المسلمين (ولو كان ما لم يطلقوا عليه) فإذا اطلعوا عليه حكم عليه بما ظهر منه .

(وسماها كلمة التقوى لأنها تقي قائلها في الدنيا والآخرة من جميع الأسواء وسماها دعوة الحق كما قال تعالى : (له دعوة الحق) والحق نقيض الباطل كما قال تعالى : (فماذا بعد الحق إلا الضلال) وسماها إحساناً لقوله تعالى : (هل جزاء الإحسان الا الإحسان) الإحسان الأول كلمة لا إله إلا الله محمـــد رسول الله (والإحسان الثانية الجنة وما أعد لقائلها من النعيم) المقيم (وأعظمه النظـــر

إلى وجهه الكريم) أي في الآخرة من غير كيف كما مر وقال ﷺ : « أُمرت أن أُقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها » وقال أيضاً ﷺ « أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا اله الا الله وحده لا شريك له » وزاد الترمذي في رواية « له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير) .

وروى النسائي أنه ﷺ قال : قال موسى عليه السلام يا رب علمني ما أذكرك به وما أدعوك به . قال يا موسى قل لا اله الا الله قال يا رب كل عبادك يقول هذا . قال قل لا اله الا الله قال موسى لا اله الا أنت انما أريد شيئاً تخصني به قال يا موسى لو أن السماوات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع في كفة ولا اله الا الله في كفة لمالت بهن لا إله إلا الله .

وروى عبد بن حميد ان رسول الله ﷺ قال : يؤتى برجل يوم القيامة ثم يؤتى بالميزان ثم يؤتى بتسعة وتسعين سجلاً مد البصر فيها خطاياه وذنوبه فتوضع في كفة الميزان ثم يخرج له قرطاس مثل هذا وأمسك إبهامه على نصف إصبعيه فيها شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله فتوضع في كفة أخرى فترجح على خطاياه وذنوبه .

وفي رواية قال ﷺ يؤتى برجل إلى الميزان ويؤتى بتسعة وتسعين سجلاً كل منها مد البصر فيها خطاياه وذنوبه فتوضع في كفة الميزان ثم تخرج بطاقة مقدار الأنملة فيها شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ فتوضع في الكفة الأخرى فترجح بخطاياه وذنوبه إلى غير ذلك ما ورد في فضلها .

وفي الحديث أيضاً أن رسول ﷺ قال : لتدخلن الجنة كلكم إلا من أبى وشرد على الله شرود البعير على أهله فقيل يا رسول الله من الذي يأبى قال من

لم يقل لا إله إلا الله فأكثروا من قول لا إله إلا الله قبل أن يحال بينكم وبينها الحديث .

وروى أحمد والترمذي عن عبادة قال : من شهد أن لا إله إلا وأن محمداً رسول الله حرم الله عليه النار إلى غير ذلك .

فصل في ثمن الجنة ومفتاحها

(وجعلها) أي جعل الله لا إله إلا الله (ثمن الجنة) فقد روى أنس أن لا إله إلا الله ثمن الجنة ، فالشخص الذي يقولها فقد اشترى الجنة بها فالجنة كالمثمن ولا إله إلا الله كالثمن ومفتاحها ، وقال ﷺ من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله أو يعلم ذلك دخل الجنة فالأول لمن يطق نطقها عند النزع والثاني لمن لا يطيقه كما تقدم . وقال من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة .

وقال ﷺ من دخل القبر بـ لا إله إلا الله خلصه الله من النار ، أي من مات وكان آخر كلامه من الدنيا قول لا إله إلا الله ، والظاهر أنه لا يعذب أصلاً وقيل من مات مصراً عليها ولم تكن آخر كلامه كما تقدم . (وهذا القدر كفاية) يقال كفى الشيء كفاية فهو كاف إذا حصل به الاستغناء عن غيره . والمعنى ما ذكرناه في هذه العقيدة يكفي في معرفة العقائد جملة وتفصيلاً .

فصل في المنفي والمثبت

قال في شرح الصغرى لا شك أن لا إله إلا الله مشتملة على نفي وإثبات فالمنفي كل فرد من أفراد حقيقته لا إله غير مولانا عز وجل المثبت من تلك الحقيقة فرد واحد وهو مولانا جل وعز .

قال العلماء : من لم يعرف معناها لم ينتفع بهـــا يعني من لم يعرف المنفي والمثبت لم ينتفع بها من الخلود في النار لأن لا إله إلا الله مشتملة على نفي وإثبات فمن لم يعرفها فهو جاهل بالمعنى الإجمالي فضلاً عن التفصيلي (وقد أوضحتها لك أي لا إله إلا الله محمد رسول الله (كالشمس المضيئة الواضحة) .

يقال : وضح وضوحاً انكشف وانجلى واتضح كذلك (فالمعنى منهـــا الاستغناء عن غير الله وافتقار المخلوقات الى غـــيره تعالى . والمثبت الغنى لله وافتقار جميع المخلوقات إليه تعالى فهذه عبارة المتأخرين) فمعنى لا إله إلا الله عند المتأخرين لا مستغنى عن كل ما سواه ومفتقر إليه كل ما عداه إلا الله تعالى تعالى . (وأما عبارة المتقدمين فالمنفي وجوب الوجود عن غير الله واستحقاق العبادة لغيره . والمثبت وجوب الوجود لله تعالى واستحقاق العبادة له) ومعنى لا إله إلا الله عند المتقدمين لا واجب الوجود ولا مستحق للعبادة إلا لله تعالى .

(ومن لا يفهم منها هذا المعنى يكفيه أن يعتقد أن الله واحد لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله . فالأول) وهو معرفة المثبت والمنفي ومعنى عقائد التوحيد ولو بالدليل الإجمالي ومعرفة الدليل هو الاحتياط الذي ينبغي لكل عاقل أن يعض عليه بالنواجذ وهي أواخر الأضراس .

(والثاني) وهو التقليد أو الجهل (لا يرضى به إلا كل ذي همـة دنية) يقال دني إذ لؤم فعـــله وخبث (ونفس ردية) أي وضيعة وخسيسة (وطبيعة شنيعة) يقال شنع الشنع بالضم شناعة قبح فهو شنيع (وبصـــيرة معمية) أي منسوبة إلى العمى .

فصل في أول ما يجب على المكلف

(وأول ما يجب على المكلف) وهو العاقل البليغ (الرشيد) الرشـــد

الصلاح وهو خلاف الغي والضلال (معرفة الله تعالى بالأدلة) جمع دليل وهـو المرشد والكاشف يقال أدلى بحجته أثبتها ووصل بها إلى دعواه والأدلة عقليـة ونقلية فالعقلية أن نقول العالم حادث وكل حادث لا بد له من محدث والنقليـة كقوله تعالى « قل هو الله أحد الله الصمد » الخ السورة .

(والبراهين) جمع برهان والبرهان مشتق من البره وهو القطع تقول برهت العود إذا قطعته ولا شك أن البرهان يقطع ظهر الخاصم والمراد به الحجج والدلائل القطعية (الشرعية) نسبة إلى الشريعة سميت بذلك لوضوحها وجمعها شرائع والمراد بها الأدلة المأخوذة من الكتاب والسنة فقد قال ﷺ العلم بالله أمام العمل والعمل تابع له . والمراد بالعلم بالله معرفة صفاته وسائر أحـكام الألوهية لا معرفة ذاته وكنه حقيقته إذ لا يعرف ذاته وكنه حقيقته إلا هو وفي الحديث : تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق فإنه لا تحيط به الفكر .

وفي الحديث أيضاً إن الله قد احتجب عن البصائر كما احتجب عن الأبصار وبالجملة لا يعرف الله إلا الله فترك الإدراك إدراك والبحث عن ذات الله إشراك وقد قيل :

حقيقة المرء ليس يدركها فكيف كيفية الجبار في القدم

وفي شرح الكبرى فالمقطوع به بشهادة البراهين والقواطع السمعية أنه جلا وعلا ذات قائم بنفسه أي مستغن عن المحل والمخصص أي المؤثر لوجوب وجوده موصوف بما لا يحاط به من صفات الجمال والجلال ليس صفة من الصفات ولا جرم ما تجري عليه الحوادث والتغييرات ولا تمر عليه الأزمنة ولا يتخصص بالجهات ولا يعقل اجتماعاً ولا افتراقاً ولا صغراً ولا كبراً لا مثيل له ولا نظير ولا ضـد ولا وزير كل الممكنات مفتقرة إليه وهو الغني عن جميعها في الأزل وفيما لا يزال وهو على كل شيء قدير .

كل ذلك شهدت به البراهين المنتهية إلى ضرورات العقول وطابق فيها المعقول المنقول ثم عجزت العقول بعد الإدراك وانقطع تسوقها للخوض فيما خرج عن دائرة التوهمات والتخيلات إلى آخر ما قال الشيخ الاسفرايني يقول ما قاله المتكلمون في التوحيد قد جمعه أهل الحقيقة في كلمتين الأولى : اعتقاد أن كل ما يتصور في الأوهام فالله بخلافه . والثانية : اعتقاد أن ذاته تعالى ليست مشبهة للذوات ولا معطلة عن الصفات والمعرفة واجبة في الجملة بالإجماع وهل على الكفاية يحملها من قام بها غيره يكفيه التقليد . أو هي واجبة على الأعيان فتجب المعرفة على كل واحد ولا يكفي التقليد .

في المسألة قولان : قال في شرح أم البراهين فأهم ما يشتغل به العاقل اللبيب في هذا الزمان الصعب أن يسعى فيما ينقذ مهجته من الخلود في النار وليس ذلك إلا بإتقان عقائد الإيمان المراد باتقانها معرفتها بالدليل ولو إجمالياً ولذا قال الشيخ (العلم أمام العمل) أي مقدم على العمل بالأعمال الشرعية (والعمل تابع له) أي العمل تابع للعلم بما يجب لله وما يستحيل وما يجوز لله وما يجب لرسله وما يستحيل وما يجوز وما يتبع ذلك . لأن علم التوحيد أشرف العلوم لأن ثمرته معرفة الله بالبراهين القطعية والفوز بالسعادة الأبدية (وقد قال ﷺ ألا وإن أعقل الناس من عرف ربه فأطاعه) أي عرف صفات ربه التي نصب عليها الآيات أي أقام عليها البراهين والأدلة أي ما يجب له تعالى وما يستحيل وما يجوز وكذلك في حق رسله عليهم الصلاة والسلام فأطاعه أي امتثل أوامره واجتنب نواهيه قولاً كان أو فعلاً بجميع جوارحه من اللسان الموافق للاعتقاد وغير اللسان من قواعد الإسلام .

(وعرف عدوه)وهو ضد الصديق وهو بالنسبة للسائرين النفس والشيطان والدنيا إذ هم القاطعون عن الوصول إلى المأمول وبالنسبة للمؤمنين الكافرين (فعصاه) العصيان يقال عصاه يعصيه ومعصية .

(وقال رسول الله ﷺ : من عبد الله قبل معرفته ولو تقطعت أبدانه إربا إربا لم يزدد من الله الا بعداً) وهو ما قابل القرب فيكون بعداً معنوياً .

(وقال) ﷺ : (العلم بالله ينفعك معه قليل العمل والجهل بالله لا ينفعك معه قليل العمل ولا كثيره) . قال بعضهم هذه الأحاديث لم تصح لكن معرفة الله واجبة وقد قام الدليل العقلي والنقلي وانعقد الإجماع على وجوب العلم بالله كما تقدم . (فانظر يا أخي حيث قدم النبي ﷺ بالعلم على جميع العمل فأوجب الشارع العلم ولم يرخص في تركه لقوله تعالى) فاعلم أنه لا إله إلا الله فيجب على كل مكلف ذكراً أو أنثى وجوباً عينياً معرفة كل عقيدة بدليل ولو إجمالياً لأن دين الله يسير . وأما معرفتها بالدليل التفصيلي ففرض كفاية فيجب على كل أهل قطر أي ناحية يشق الوصول منها إلى غيرها أن يكون فيها من يعرفها بالدليل التفصيلي وجوباً كفائياً والله أعلم .

وقد ذكر الشيخ محمد بن أحمد ميارة رحمه الله قال : ومن خط شيخنا الإمام الحافظ الحجة سيدي أبي العباس أحمد المقري التلمساني نزيل فاس ما نصه وقد سئل الشيخ محمد السنوسي نفعنا الله به : هل يشترط في الإيمان أن يعرف المكلف معنى لا إله الله محمد رسول الله على التفصيل الذي ذكر في العقيدة الصغرى أم لا فأجاب بأن ذلك لا يشترط إلا في كمال الإيمان وإنما يشترط في الصحة معرفة المعنى على الإجمال على وجه يتضمن التفصيل ولا يتضمن التفصيل ولا شك أن الغالب على المؤمنين عامتهم وخاصتهم معرفة ذلك إذ كل أحد يعرف أن الإله هو الخالق وليس بمخلوق والرازق وليس بمرزوق وذلك هو معنى غني قولهم أن الاله هو المستحق ولا يستحقها سواه وذلك الذي وقعت به الفتوى بعدم الإيمان نادر جداً وهو الذي لا يدري معنى لا إله إلا الله لا جملة ولا تفصيلا ولا يفرق بينه وبين الرسول بل يتوهم أنه مثل ونظير لله تعالى وهذا النوع يقع في البادية البعيدة عن العمران جداً التي لا تخالط علماً ولا خبراً والله تعالى أعلم انتهى .

قوله والذي وقعت به الفتوى في حق هذا الشخص الذي لا يدري معنى لا إله الله لا جملة ولا تفصيلاً إلى آخره ومن كان في حالته جلي في غاية الجلاء أن يختلف فية اثنان وإنمـــا نزاع العلماء واختلافهم فيمن يعرف مداول الشهادتين وجزم بما تضمنته من عقائد التوحيد من غير تردد إلا أن موجب جزمه بذلــك التقليد ومجرد النشأة بين قوم مؤمنين من غير أن يعرف برهاناً على ذلك أصــلا والخلاف في صحة إيمان هذا الخلاف المعروف .

قال الشيخ محمد المشهور بميارة واختلفوا في الاعتقاد الصحيح الذي حصل بمحض التقليد ، فالذي عليه الجمهور والمحققون من أهل السنة كالشيخ الأشعري والقاضي والأستاذ وإمام الحرمين وغيرهم من الأئمة أنه لا يصح الاكتفاء به في العقائد الدينية وهو الحق الذي لا شك فيه وقد حكى غير واحد الإجماع عليه وكأنه لم يعتد بخلاف الحشوية وبعض أهل الظاهر إما لظهور فساده وعدم متانة علم صاحبه أو لانعقاد إجماع السلف قبله على ضده وقد حصل ابن عرفة في المقلد ثلاثة أقوال : انه مؤمن غير عاص بترك النظر الثاني أنه مؤمن لكنه عاص من أنه ترك النظر مع القدرة. الثالث أنه كافر ثم قال وبالجملة فالذي حكاه غير واحد عن جمهور أهل السنة ومحققيهم أن التقليد لا يكفي في العقائد إلى آخر ما قال (والله أعلم بالصواب)وهو ضد الخطأ (وإليه المرجع) أي الرجوع (والمآب) المرجع يقال آب يؤوب آوباً ومآباً رجع (وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً) .

وقد مر معنى ذلك (في كل لمحة) يقال لمحته بالبصر صوبته إليه ولمح البصر امتد إلى الشيء (ونفس) النفس بفتحتين نسيم الهواء والجمع أنفاس وتنفس أدخل النفس الى باطنه وأخرجه (عدد ما وسعه علم الله) وقد وسع علمه تعالى كل شي فلا يخرج شيء من علمه تعالى (سبحانك) أي ننزهك عن كل سوء ونقيصة (اللهم وتحيتهم) فيما بينهم وتحية الملائكة لهم (سلام) أي تأتيهم الملائكة أيضاً

من عند ربهم بالسلام قال الله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم وقال تعالى : (سلام قولاً من رب رحيم) (وآخر دعواهم) أي آخر دعائهم (أن الحمد لله رب العالمين) .

قال الزجاج : أعلم الله أن أهـــل الجنة يفتتحون بتعظيم الله وتنزيهه ويختمون بشكره والثناء عليه .

قال البيضاوي اذا دخلوا الجنة وعاينوا عظمة الله وكبرياءه مجدوه ونعتوه بنعوت الجلال ثم حياهم الملائكة بالسلامة من الآفات أو الله تعالى واثنوا عليه بصفات الإكرام .

واختتم هذا الشرح بما قاله السنوسي في أم البراهين فعلى العاقل أن يكثر من ذكرها أي كلمة التوحيد مستحضراً لما احتوت عليه من عقائد الإيمان حتى تمتزج بلحمه ودمه فإنه يرى من الأسرار والعجائب إن شاء ما لا يدخـل تحت حصر وبالله التوفيق لا رب غيره ولا معبود سواه نسأله سبحانه وتعالى أن يجعلنا عند الموت ناطقين بكلمتي الشهادة عاملين بها وصلى الله تعالى عـلى سيدنا ومولانا محمد عدد ما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون ورضي الله تعالى عن أصحاب رسول الله ﷺ أجمعين وعن التابعين وتابع التابعين لهم بإحسان الى يوم الدين وسلام على جميع الأنبياء والمرسلين والحمد لله رب العالمين .

وأيضاً نختم هذا الشرح بما ختم به العلامة التتائي شرحــه خطط السداد والرشد على نظم مقدمة ابن رشد وهي في مسند أبي عوانة اللهم اني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعاء لا يسمع اللهم اني أعوذ بك من هؤلاء الأربع .

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد ﷺ .

وكان ختام هذا الشرح في أوائل شهر ربيع الأول سنة ألف وثلاثمــائة وأربع وثمانين هجرية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية آمين آمين آمين.

ترجمة الشيخ أبي الحسن الأشعري

وهو الإمام أبو الحسن علي بن اسماعيل بن بشر بن إسحق بن إسماعيل بن عبد الله بن بلال بن بردة بن أبي موسى الأشعري صاحب رسول الله ﷺ وهو مالكي المذهب وإليه تنسب جماعة أهل السنة ويلقبون بالأشاعرة والأشعرية وكانوا قبل ظهوره يلقبون بالمثبتة إذ أثبتوا ما نفت المعتزلة وكان مذهب المعتزلة في وقت الأشعري شائعاً وكلمتهم غالبة فكان الأشعري رحمه الله يقصدهم للمناظرة في مجالسهم بنفسه فقيل له كيف تفعل ذلك وقد أمرت بهجرانهم فقال هم أهل الرئاسة منهم الولاة والقضاة لرئاستهم لا ينزلون إلي فإن لم أسر إليهم لم يظهر الحق ويعلم أن لأهله ناصراً بالحجة وقد ألف التصانيف لأهل السنة وأقام الحجج على إثبات السنن وما نفاه أهل البدع من صفاته تعالى ورؤيته وغير ذلك مما أنكروه من أمر المعاد فلما كثرت أتباعه نُسبوا إليه وتسموا بالأشاعرة وكان مولده سنة سبعين وقيل ستين ومائتين بالبصرة وتوفي سنة نيف وثلاثين وثلاثمائة ببغداد ودفن بين الكرخ وباب البصرة وقد بلغت تآليفه ثلاثمائة وثمانين تأليفاً وأزيد ودون فيها عقائد السلف وكتب فيها كتابة جامعة مدعمة بالبراهين وتناول بالطعن مذاهب المخالفين . وبعد وفاته صار تلاميذه على طريقته وأخذ عنهم جماعة من كبار العلماء كأبي بكر الباقلاني وإمام الحرمين وابن إسحق الاسفرايني والغزالي وألفوا كتباً قيمة نصروا فيها مذهب أهل السنة والجماعة فانهزمت بذلك مذاهب المخالفين ولم يبق من حقيقتها إلا فئة قليلة في أطراف البلاد وبالجملة فهو إمام المحققين في علم الكلام . فجزاه الله خير الجزاء ونفعنا بعلومه آمين .

ترجمة الشيخ أبي منصور الماتريدي

هو الإمام أبي منصور بن محمد بن محمود كان يعد في الطبقة الرابعة من أصحاب الإمام أبي حنيفة . ولد بقرية ماتريد من أعمال سمرقند وتوفي في أوائل العقد الرابع للهجرة عام ٣٣٣ هجرية في سمرقند ودفن بها وقد نبغ في العلم واشتهر بعلم الكلام وألف فيه كتاباً سماه تأويلات أهل السنة وألف كتاب الرد على الكعبي المعتزلي و كتاب أوهام المعتزلة و كتاب الرد على الرافضة وكان الأشعري يرد على المعتزلة وشتى الفرق الأخرى المنحرفة ويفند آراءهم وهو الأشعري في هذا السبيل صنوان رحمهم الله رحمة واسعة ونفعنا بهما دنيا وآخرة آمين .

خاتمـــة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد بنفي الأضداد والأنداد والأشباه بلا تشبيه ولا تكييف ولا تصوير وهو على كل شيء قدير ليس كمثله شيء وهـو السميع البصير وأشهد أن لا إله إلا الله لا ثاني له في ألوهيته وهو فرد في أزليته وأن الهدى هداه وأن الفضل بيده يؤتيه من يشاء وهو واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم وأصلي وأسلم على سيدنا محمد الذي أيد بالمعجزات الظاهرة والآيات الباهرة التي أزاح بها العذر وأوضح بها اليقين وشرح بها الصدر وعلى آله وصحبه أجمعين .

قال تعالى مخاطباً لنبيه : (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم لعلهم يتفكرون) فكل من علماء الأمة أخذ في التفكر منهجاً واضحاً وطريقاً مستقيماً . فالرعيل الأول هم أصحاب رسول الله ﷺ قرأوا القرآن فأحكموه وساروا على طريقه وفسروه بما فسره به رسول الله ﷺ فعرفوا معانيه وحققوا مبانيه فحبب الله إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم فأخذوا التوحيد من آياته القرآنية الفرقانية فتحققوا بأن الله واحد قال تعالى : (وإلهكم إله واحد لا إله إلا هـو وأنه ليس كمثله شيء) وكملت عقولهم وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى

صراط مستقيم فمنهجهم كتاب الله مفسراً بحديث رسول الله ﷺ ولم يدونوا كتباً مع كتاب الله ولكن الله كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منهم فحفظوا أحاديثه ﷺ فصاروا أهل حقيقة وحملة علم وشريعة ورواة حديث وروادحكمة فهم حفظوا بيضة الإسلام بعد وفاته ﷺ وناصروا الحق بما وضحوه من حجج الدين فجزاهم الله عن دين الإسلام خير جزاء ثم ظهر الجنيد رحمه الله وصحبه فبنوا قواعد أمرهم على أصول صحيحة في التوحيد صانوا بها عقائدهم عن البدع ودانوا بما وجدوا عليه السلف وأهل السنة من توحيد ليس فيه تمثيل ولا تعطيل ولم يدونوا كتباً في التوحيد ولكنهم ذكروا فيه كلمات متفرقات عرفوها بطريقة الذوق والإلهام الإلهي بسبب المجاهدة قال تعالى: (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) واتفقوا على أن الحق سبحانه وتعالى موجود قديم واحد حكيم قادر عليم قاهر رحيم مريد سميع مجيد رفيع الدرجات متكلم بصير متكبر حي أحد باق إلى آخر ما قالوا وبالجملة فإن عقائد مشايخ الصوفية توافق أقاويل أهل الحق في مسائل الأصول وأورثوا هذا التراث من سار على نهجهم القويم واقتدى برأيهم من أصحابهم فلا حلول ولا اتحاد فهم مجمعون على تعظيم الشريعة مقيمون على متابعة السنة فلما طوى هذا البساط ظهر الإمامان الجليلان الشيخ أبو الحسن الأشعري والشيخ أبو منصور الماتريدي يستمدون عقيدة السلف من المعرفة الكسبية بالمقدمات العقلية والأدلة النقلية الشرعية وألفوا في ذلك كتبهما ومن تبعهما وردوا على المخالفين لأهل السنة فصار علمهم الشهير أهل السنة والجماعة وسواهم من أهل البدعة والضلالة وبالجملة فقد انتهت معرفة الأوائل والأواخر إلى العجز عن الإدراك إدراك وامتثلوا قول رسول الله ﷺ (تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق) وجميع ما ذكره أهل السنة المتأخرون فهو من تراث الأول الذين اختصهم الله بعنايته ومنحهم من كرامته وقد نحونا في هذه العقيدة نحو السلف الصالح ومن تبعهم من الخلق ففسرت كل عقيدة بشرح واف وألحقنا بها البراهين العقلية والمقدمات الفكرية فصار هذا الكتاب جامعاً لما نعرف من كتب المتقدمين مدعماً

بالأدلة القرآنية فصار جنة وارفة الظلال فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعـــين خالية من مذاهب الضلال محتوية على فضائل الكلمة الطيبة والعروة الوثقى التي لا انفصام لها وثمن الجنة التي أعطاه الله في أزله لأنبيائه ورسله وأوليائه يجنون ثماره المعجلة وهي محبة الله ورسوله والمؤجلة التي أعدت للمتقين وهم المخلصون الذين قال الله فيهم : (أولئك لهم رزق معلوم فواكه وهم مكرمون في جنات النعيم على سرر متقابلين يطاف عليهم بكأس من معين بيضاء لذة للشاربين) صدق الله العظيم .

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة